16 em Année No. 777

Lundi — 24 — 5 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٧٧٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٧ — ٢٤ مايو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

مقاييس الأعمال

للأستاذ عباس محمود العقاد

أعمال الناس لا تقاس بمقياس واحد .

لأنها قد تقاس بحسب النيات ، وقد تقاس بحسب الغايات ، وقد تقاس بحسب الأشخاص الذين يتولونها ، وقد تقاس بحسب المناسبات التى تقع فيها .

فتختلف المقاييس على حسب اختلاف هذه الأحوال .

مثال ذلك أنك تنهى الطفل الصغير عن طعام يثقل عليه وتستبيح أنت تناوله ، وتكون على صواب فى الحالتين .

وأنك قد تنهاه فى حالة المرض عن طعام تبيحه إياه فى حالة الصحة ، ولا تخطىء فى هذا الاختلاف .

وأنك قد تمنع أخاك الصغير عن معاشرة أناس ، ولا ترى أنت حرجاً فى معاشرتهم ، لأنك لا تخشى منهم على نفسك كما تخشى منهم عليه .

وقد يحدث العمل الواحد فيتلقاه رجل بالاستخفاف ويتلقاه غيره بالغضب ، ولا اختلاف فى الأمر غير اختلاف المزاج .

وقد يغتفر إنسان ما ليس يغتفره غيره ، لتفاوت بينهما فى وجهة النظر ، وإن كان كلاهما من أفاضل الناس .

هذه الملاحظة ، أو هذه الملاحظات ، تزيل كثيراً من اللبس فيما يعرض فى سيرة عمر بن الخطاب من الاختلاف بين حكمه على بعض الأعمال وحكم النبى عليه السلام على تلك الأعمال ، وكل ما يستفاد من ذلك أن أفق الأخلاق الإنسانية واسع فسيح ، وأنها تتسع لكثير من العوارض والأطوار ، ولا يستفاد من ذلك حتماً أن هناك تناقضاً فى الأعمال والأحكام .

وقد سألنى الطالب النجيب « حسين حسين الجزار » ، بمدرسة فاروق عن بعض هذه الأعمال التى اختلفت فيها وجهات النظر بين النبى والفاروق ، فرأيت من المفيد فى دراسة النفس الإنسانية ، وفى دراسة العظماء على الخصوص ، أن أبين الوجه الصحيح فى النظر إلى هذه الفروق ، بحيث يبدو من هذا النظر أن عمل النبى جائز من النبى ، وأن عمل الفاروق جائز من الفاروق ، ولا تناقض هناك ، ولا غرابة فى كلا الأمرين .

سألنى الطالب الأديب عن قصة الجارية التى كانت تضرب بالدف بين يدى النبى ، فما هو إلا أن دخل عمر حتى وجمت الجارية وأسرعت إلى الدف تخفيه . فقال النبى إن الشيطان — أو إن شيطانها — ليخاف منك يا عمر !

وموضع العجب عند الطالب النجيب أن تعمل الجارية فى حضرة النبى ما لا تعمله فى حضرة الفاروق .

ولا عجب هناك ؛ فإن كل ما هنالك من الفرق بين الأمرين أن الجارية أنست إلى سماحة النبى ، ولم تأنس إلى شدة عمر . ولا غرابة فى الشدة هنا أو السماحة هناك .

والكلام فى هذه القصة عن شيطان الأغانى والشعر

والأهازيج : أى عن شيطان الفنون على الإجمال ، وليس شيطان الفنون فى حكم الدين أو الأخلاق كشيطان المعاصى والشرور .

والمرجع — بعد — فى هذه القصة إلى الجارية ومن تأنس إليه . وقد تغنى جارية فى حضرة السلطان ، ولا تغنى فى حضرة رئيس الشرطة مثلا أو قائد الجيوش ، ولا يقال إن هذا أو ذاك أعظم عندها من السلطان . فإنما المسألة كلها فى هذه المواقف مسألة الأنس والارتياح . وليس لنا أن نسأل مغنياً أو فناناً ، لماذا يرتاح إلى هذا المقام ، ولا يرتاح إلى ذلك المقام .

ولم يكن عمر رضى الله عنه يحرم ما أحله النبى عليه السلام فى هذا الصدد . فقد قرأ الطالب الأديب ولا شك أن عمر سمع ضجة فى مكان فقيل له إنه عرس . فقال : هلا حركوا غرابيلهم: أى طبولهم . فلا تحريم فى الأمر ولا تحليل ، وإنما هو كما قدمنا مسألة ارتياح « شخصى » لا يحاسب عليه صاحبه بحساب الإلزام .

وسأل الطالب الأديب كذلك عن قصة الأسود بن شريع ، الذى كان ينشد النبى بعض الأماديح ، فاستنصته النبى مرتين إذ دخل عليهما عمر والشاعر لا يعرفه . فصاح : وا ثكلاه ! من هذا الذى أسكت له عند النبى ؟ فقال النبى : هذا عمر . هذا رجل لا يحب الباطل .

ويسأل الطالب : كيف يقبل النبى ما لا يقبله الفاروق ؟

وينبغى أن نعرف أولا ما هو معنى الباطل المقصود فى هذه القصة . فإن الباطل قد يكون بمعنى المزاح : يقال بطل فى حديثه بطالة أى هزل ومزح . وقد يكون بمعنى الشىء الذى لا غناء فيه ، أو الشىء الضائع ، أو الشىء الذى تقل جدواه ، وقد يكون مقابلا للحق مقابلة الشىء وما لا يشبهه ، لا بمقابلة النقيض للنقيض .

وموضع السؤال الحق هنا : أى الرجلين كان أولى بجفاوة النبى عليه السلام ؟ الأسود بن شريع أو عمر بن الخطاب ؟

ولا خلاف فى الجواب .

أما أن النبى يتسع صدره لكلام لا يتسع له صدر عمر ، فليس من اللازم أن يعم النبى كل ما يعمه أصحابه ، ولو كانوا على صواب . ونحن نرى مصداق ذلك فى كل شريعة وكل نظام وفى كل زمان . فإن القضاء قد يدين مجرماً بحكم القانون ، ثم يعفو عنه الملك لسبب يراه ، ولا يقال إن فى الأمر مخالفة للعدل أو للشريعة ، وإنما هو اختلاف للتقدير الذى قضى بالعفو ، والتقدير الذى قضى بالعقاب .

واختلاف التقديرين بين النبى العظيم وصاحبه العظيم ، كما قلنا فى عبقرية عمر « هو الفارق بين إنسان عظيم ورجل عظيم . فالنبى لا يكون رجلا عظيما وكفى ، بل لابد أن يكون إنساناً عظيماً ، فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة التى تعم الرجولة والأنوثة والأقوياء والضعفاء ، وتهيؤه للفهم عن كل جانب من جوانب بنى آدم ، فيكون عارفاً بها وإن لم يكن متصفاً بها ، قادراً على علاجها ، وإن لم يكن ممرضاً لأدوائها ، شاملا لها بعطفه ، وإن كان ينكرها بفكره وروحه ، لأنه أكبر من أن يلقاها لقاء الأنداد ، وأعذر من أن يلقاها لقاء القضاة » .

والمعنى البسيط الذى يفهم من هذا الفارق ، ومن جميع الفوارق ، أن النبى ليس هو عمر ، وأن عمر ليس هو النبى ، وأنهما لا يلزم أن يكونا على نمط فى الفهم والشعور ، وإن كان لكل منهما نصيب من العظمة ومكارم الأخلاق .

***

وسؤال آخر فى علم النفس يسأل عنه الطالب الأديب فيقول :

« إن العالم الإيطالى يقرر أن من صفات العبقرية الطول البائن ، أو القصر البين » ثم يسألنى : « لماذا لا يحد الأستاذ من هذا القول ! أليس الطول البائن زيادة عن الحد المطلوب ، أو عن تناسب القوام ؟ » .

ومن الواجب أن نذكر أننا لا نتكلم هنا فى فروض وتقديرات ، ولكننا نتكلم فى واقع لا شك فيه ، وهو أن عمر كان طويلا مفرطاً فى الطول ، وكان كما وصفوه يمشى كأنه راكب ، وكان مع هذا عبقرياً بشهادة النبى وشهادة الصحابة وشهادة الأعمال .

فلا حيلة لنا فى هذه الصفة ، ولا نخرج منها بالفروض والتقديرات .. كان طويلا وكان عبقرياً . فلماذا نقول إن لمبروزو قد أخطأ فى تصويره للازمات العبقرية ، وهو قد أصاب ؟

وبعد فالكلام عن العبقرية غير الكلام عن التناسب . لأن

للحقيقة والتاريخ :

واحـــة جغبوب

فى مذكرات دولة إسماعيل صدقى باشا

للأستاذ أحمد رمزى بك

١ — تلقى العالم العربى بترحاب مذكرات دولة صدقى باشا لأنها كشفت بعض ما خفى من أسرار السياسة ، وأصبحت تتم حلقات الوثائق التاريخية . وقد انتظر الكثيرون أن يكون لها نفس الروعة والأثر اللذين تركهما فى نفس القارئ مذكرات تشرشل وغيره من جبابرة السياسة فى القرن العشرين .

٢ — والمطلع عليها فى مجلة المصور يشهد بأن دولته قد بذل جهداً فى تحريرها وجمع موادها بعد مضى فترة طويلة على الحوادث ، بدليل أنه لم ينقل إلينا شيئاً واقعياً حياً أو صورة حية لما سجله قلمه وقتئذ ، ولكنه تناول بإسهاب بعض المسائل العامة ، ومر مروراً على حوادث أخرى . وإنى ألتمس له العذر فى ذلك لأن صفحات المجلة لا تتسع لأكثر من ذلك .

٣ — ومن قبيل ما تناوله دولته باختصار مسألة واحة جغبوب وخليج السلوم : فقد رسمها بقلمه ليقنع القارئ بأن السياسة الحزبية صورت الاتفاق بصورة سوداء ، مع أنه وفق فى حل هذه المسألة توفيقاً انتهى به إلى نتائج معلومة سبق أن وضعتها السياسة المصرية أمام أعينها ، وأنه بهذا الاتفاق حقق لمصر أهدافاً معينة هى من عمله وحده .

٤ — والذى نعلمه هو أن الحدود العثمانية القديمة كانت تجعل السلوم داخل الأراضى الطرابلسية ، وأن احتلال السلوم حدث مرتين : الأولى فى سنة ١٩١١ بواسطة الجنود المصريين عقب إعلان الحرب بين تركيا وإيطاليا مباشرة ، والأخرى فى الحرب العالمية الثانية عقب انسحاب القوات السنوسية منها ، وبقيت بيد القوات المصرية منذ ذلك التاريخ إلى أن عقد الاتفاق المشار إليه بين مصر وإيطاليا .

٥ — جاء الاحتلال الأول بناء على أوامر كتشنر تنفيذاً للاتفاقات السرية التى عقدتها الحكومة البريطانية مع إيطاليا التى تنص على إدخال جزء من الأراضى العثمانية فى الأراضى المصرية مقابل الحصول على صمت الحكومة البريطانية ، وحياد مصر إزاء اعتداء إيطاليا على أملاك الدولة العثمانية فى طرابلس .

٦ — وهذه الاتفاقات من قبيل اتفاق سنة ١٩٠٦ الخاص

العبقرية تفوق خارق للمادة ، والتناسب محافظة على نسب الأشياء التى جرت بها العادة ، فلا يمكن أن يكون الشىء خارقاً للمادة ، ومتناسباً على حسب العرف المألوف فى سائر التناسبات .

إن خرق العادة يستلزم بنفسه مخالفة العادات ، ولهذا كان لزاماً أن ترى فى جملة المباقرة صفات يخالفون بها سواد الناس ، وقد تكون هذه المخالفة شذوذاً فى حالات ، ورجحاناً فى حالات أخرى . بل قد يكون الرجحان كما يقولون « على حساب » صفات أخرى ينقص فيها العبقرى عن سواد الناس ، لأنه زائد عليهم فى ملكات العبقرية والنبوغ .

فلم يخطىء لمبروزو حين سجل هذه الملاحظات ، وهو لم يسجلها ظناً منه وتخميناً لا يستند إلى دليل ، بل سجلها وهو يقرنها بالصفات المعروفة عن كثير من عباقرة العلم والفنون والسياسة والحروب ، فإذا بفريق منهم بالغ فى الطول ، وفريق بالغ فى القصر ، وإذا بأناس منهم تبرز فضائلهم كما تبرز نقائصهم على طرفين متقابلين . وقد رأينا فى التاريخ الحديث دهاة سياسيين تجاوزوا الطول المألوف من أمثال ريشليو وبسمارك وبيكنسفيلد وتاليران ، ورأينا فيه عباقرة دهاة أقصر من القوام المعتدل بين الناس ، كنابليون وعبد الحميد وموسولينى ، فلم يكن فى هذه الشاهدات تفنيد لرأى العالم الإيطالى ، بل كان فيه تعزيز وتأييد

ومن مزايا الدراسات النفسية ولا ريب أنها ترينا الصفة وما يقابلها فى معارج العظمة والعبقرية . فلا نقول إننا نتناقض ونتعارض ، بل نقول إن العظمة الإنسانية أفق رحيب يتسع لشتى الأطوار وشتى الصفات .

عباس محمود العقاد

بتعيين حدود مصر الشرقية فى سينا : غير أن الأولى سرية مكتومة والثانى اتفاق عام بين مصر المحتلة والدولة التى كانت يوماً ما صاحبة السيادة صورق عليه ونشر على العالم .

ولكل منهما هدف واحد : هو ضمان الدفاع عن الأراضى المصرية فى حالة حرب سواء كان الهجوم من جهة الشرق أو الغرب .

٧ - ويعجب القارىء أن هذا الهدف كان من ضمن ما أوصت به قرارات لجنة الدفاع الدائمة الامبراطورية فى وزارة الحربية البريطانية منذ عام ١٩٠٦ ، وبعد حرب البوير ١٩٠١ وانتهائها مباشرة .

٨ — فى سنة ١٩١٥ انتهت حملة الدردنيل بالفشل ، واضطرت الحكومة البريطانية إلى إيجاد لجنة تحقيق لمعرفة نتائج أسباب هذا الفشل : واستعرضت اللجنة قرارات وخطط الدفاع البريطانية ، فظهر أن تفاصيل حملة مهاجمة المضايق وضعتها وزارة الحربية البريطانية مع اشتراك الأميرالية فى عام ١٩٠٦ ، وأن مشاكل الدفاع عن الأراضى المصرية درست من ذلك العهد ، وأن توصيات لجنة الدفاع نفذت باتفاق ١٩٠٦ لأبعاد الحدود العثمانية عن منطقة القنال ، وكان من ضمن أبحاثها دراسة الحدود الغربية والحصول على خليج السلوم بناء على إلحاح الأميرالية .

٩ — والدليل على ذلك اتفاق ملنر — شالويا بين بريطانيا وإيطاليا عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى مباشرة ، وهو يؤكد ما ورد بالاتفاقات السرية الخاصة بتوزيع أسلاب الدولة العثمانية بعد الحرب ، وفيه تعترف بريطانيا بسيادة إيطاليا على جغبوب ، وتعترف إيطاليا بضم السلوم وما يتبعها إلى مصر .

١٠ — إذن فالمفاوضات التى أشار إليها دولته ، وهدد بقطعها وسافر من أجلها ، كانت تتناول مسائل شكلية للحدود الجديدة بوضع علامات عليها وتعديلها لإدخال بعض الآثار ، ولا تتناول لب الموضوع بل تقرحالة سابقة مهدت لها الدبلوماسية الأوروبية كل المراحل بين دولتين عظيمتين تحددان مناطق نفوذهما وقواعد الحوار بينهما ، ولم ينقصها سوى إقرار الحكومة المصرية لتسجيل حالة قائمة من المبدأ .

١١ — والمستندات والوثائق وأقوال الرجال الذين اشتركوا فى هذه المفاوضات كلها تدل على أن الجانب المصرى ، أخذ الناحية المظهرية لأسباب عدة يرجع معظمها إلى المتاعب الداخلية التى تلقاها الحكومة من المعارضة . وقد سمعنا هذا من رجال إيطاليين تولوا مناصب هامة ، واشتركوا فى هذه المفاوضات من المبدأ ؛ فقد صرحوا بأن اللجنة المصرية الإيطالية نفذت بالضبط ما كان قد اتفق عليه بين إيطاليا وبريطانيا ، وكان موقف الجانب المصرى ، مظهرياً أكثر منه جدياً : ومنهم السنيور كوخ ، وزير إيطاليا المفوض والذى كان يشغل وظيفة مستشار بسفارة أنقرة ، وكان من ضمن من اشتركوا فى هذه المباحثات .

١٢ — وعلى كل حال فان موقف دولته إزاء إيطاليا كان مشرباً روح المودة بدليل زيارته لموسولينى ، وهى زيارة لم تكن قاصرة على مسألة السلوم وجغبوب ، وإنما كانت لتقدم الشكر على تمهل الدكتاتور سنوات فى عدم احتلال واحة جغبوب ، حتى يتم الاتفاق مع الحكومة المصرية عليه : وقد جاء هذا بالنص فى كتاب « تقويم القوات الإيطالية المسلحة » طبعة ١٩٢٧ (صفحة ١٠١١) : إن الحكومة الإيطالية لم تشأ أن تحتل الواحة عسكرياً قبل أن تحصل على اعتراف الحكومة المصرية لها بهذا الحق » . هذا طبعاً حفظاً لتقاليد الوداد التى لا تريد أن تمسها : ولا نستبعد أن يكون الثمن الذى طلبه الدكتاتور بصبره الطويل ، هو إتمام هذه الزيارة ، وكان يهمه موافقة بريطانيا عليها .

١٣ — ذلك لأنه كان فى وسعها احتلال جغبوب بعد اتفاق « ملنر شالويا » مباشرة ، ولكنه انتظر حتى تم امضاء الاتفاق المصرى ، فاحتلت جغبوب يوم ٧ فبراير سنة ١٩٢٦ بقوتين مسلحتين قامتا فى وقت واحد ، إحداهما من طبرق ، والأخرى من البردية ، وتلاقتا فى الواحة ، لإسدال الستار على مأساة بدأت فى عام ١٩٠٢ حينما دخلت إيطاليا فى مفاوضات مع دول الاتفاق الثنائى فرنسا وروسيا . والذى أصبح ثلاثيا بانضمام بريطانيا إليه نهائياً ، ولا تخلو فترة ولا مرحلة فيه من دون تفاهم واتفاق على احتلال أماكن استراتيجية ، أو الاعتداء على حق من حقوق الأمم المظلومة : ثمناً لخروج إيطاليا من تحالف ، ودخولها فى تحالف مضاد للدول —

أحمد رمزى

الإنســــانية الصادقة

روح القصة الفنية

للأستاذ محمود تيمور بك

الإنسانية في القصة لا تكبر أو تصغر بما تحفل به من نوع الشخصيات وطراز الحوادث ، وإنما تقوى الإنسانية في القصة بمقدار نصيبها من الصدق في تقمص المشاهد والمرئيات ، سواء أكانت حيوانًا أم جمادًا أم من النبات ، وسواء أكانت من سنة الطبيعة أم من الخوارق والمعجزات والأساطير .

فما دام الكاتب يتقمص الموضوع ، ويسبغ عليه ذاتيته ، فإن الشخصية القصصية تبدو على وضعها الحق ، وتنطق بما هو مقدر عليها أن تقوله ، وتجرى الحوادث في مجراها الذي لا حِوَلَ عنه ، وتتوائق المشاهد في ألفة وانسجام ، فتخرج القصة وحدة متناسقة لا يحس القارئ فيها من نفرة ولا شذوذ ، على الرغم مما قد تحتويه من تهاويل وتعاجيب .

لا يوهن من إنسانية القصة إلا ضعف التقمص ، وانغلاق الإحساس الذي ينحدر بالكاتب إلى مزالق الكذب والتزوير ، سترا للضعف ، وتعويضًا من ذلك الانغلاق .

فأما الخوارق أو الأساطير أو ضروب الجماد والنبات وما إليها ، فتلك لا تحول بين القصة واتصالها بالإنسانية ، إذا عرف الكاتب القصصي كيف تمتزج روحه بالطبيعة والوجود ويحيا الكون فيه كما يحيا هو في الكون ، فيستطيع أن يحيي تلك الموضوعات في نفسه ، ويهبها من ذاته ، ويكون كأنما قد عاش عيشتها ، وكتبت عليه حياتها ...

ليس روح الفن الإنساني إلا أن يمتزج الفنان بما يحيط به من موجودات ، يبادلها الحياة والشعور وكأن بينه وبينها « وحدة وجود » ...

وعلى أساس هذه الحقيقة بقيت القصة الإغريقية خالدة الأثر وأقيمت بها دعامة القصة العالمية ، مع أن قصص الإغريق مناطها الأساطير والخوارق ، ولكنها أساطير تهتز فيها خفقات الحياة ، وخوارق تتمثل فيها نزعات النفس . ولذلك ظلت تستجيب لها الأزمنة والعصور على تعاقبها ، لما يسرى فيها من روح إنسانية صادقة .

ويارب تمثال لفنان صادق التعبير قوى الأداء ، تقف أمام حجره فلا تكاد تتوهم سماته الناطقة ، حتى تحس أواصر الإنسانية تؤلف بينك وبينه . ويا رب شخصية قصصية رسمتها أنامل كاتب فنان ، لا يكاد يطالعها القارئ حتى يحس لها وجوداً في المجتمع وأصالة في الحياة ، فيعيش معها كأنها حي متميز من بين الأحياء الذين تربطه بهم مختلف الصلات .

فلا غرو أن نرى أبطالا من خلق الفنانين تتوهج ذكراهم ، وتتمثل حياتهم ، فيزاحمون بشخصياتهم الممتازة أولئك الأبطال الآدميين الذين يمر بهم تاريخ العصور .

وعنصر الصدق في التعبير الإنساني ، قد يبلغ من قوته في الأعمال الفنية أن يكتب الخلود لمحاولات بدائية يعوزها الكثير من عناصر الفن الأخرى .

فما لا ريب فيه أننا نهتز لمشاهدة قطعة من الفن البدائي ، تمثالاً كانت أو صورة أو قصة ، إذا توسمنا فيها لوامع إنسانية تثير فينا شعور الصلة بيننا وبينها . ولعل هذا سر بقاء القصص الشعبي على تعاقب الحقب مثاراً لشعورنا ، ومهزة لإعجابنا ، مع افتقار هذا اللون من القصص إلى كثير من عناصر القصص الفني القمينة بأن تخلده على وجه الزمان .

ولا يتوافر الصدق في التعبير الفني إلا لمن أوتي قدرة على التقمص الحق ، أو الاستيحاء والاستلهام لما يريد التعبير عنه من موجودات الكون وموضوعات المجتمع وشئون الحياة .

وكلما قوى تقمص الفنان صدقت إنسانيته فجاد عمله ، وإنما تنقص درجة الجودة ، ويضعف التعبير ، على قدر الوهن الذي يعترى الفنان في تقمصه .

ففي ميدان الرقص مثلا هيهات أن تحس الراقصة تأدية موضوعها إلا إذا عاشت فيه وتمثلته كل التمثل ، فتؤدى بحركاتها وإيماءاتها واختلاجاتها حياة الموضوع الذي اتخذته مادة للتعبير .

وهل في طوق راقصة أن تؤدى الرقصة المعروفة بـ « موت البجعة » حق أدائها إن لم تتقمص روح هذا الضرب من الطير وتمزج نفسيتها بنفسيته ، فكأنما هي الطائر ، تعبر عنه بمقدار

عبد الله بن ســـبأ

للدكتور جواد علي

— ٤ —

رأيت أن مجيء عبد الله بن سبأ إلى البصرة ونزوله على بني عبد القيس إنما كان على زعم « يزيد الفقعسي » في السنة الثالثة من حكم عبد الله بن عامر الذي ولي إمارة البصرة في عام ٢٩ للهجرة . أي في سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة . وإنه نزل على حكيم ابن جبلة ، وزعم صاحب هذا الحديث الذي دونه الطبري أنه ، أي حكيم بن جبلة كان من أشرار الناس ومن مشاهير قطاع الطرق وأنه كان يذهب إلى أرض فارس « فيغير على أهل الذمة ويتنكر لهم ويفسد في الأرض ويصيب من يشاء ثم يرجع . فشكاه أهل الذمة وأهل القبلة إلى عثمان بن عفان فكتب إلى عبد الله بن عامر أن احبسه ؛ ومن كان مثله ، فلا يخرجن من البصرة حتى تأنسوا منه رشداً . فحبسه ، فكان لا يستطيع أن يخرج منها »(١) وقد كان « حكيم بن جبلة » من الناقين والشاغبين على الحكومة ، وكان على رأس الجماعة التي ذهبت إلى المدينة واشتركت في الفتنة المؤسفة التي أدت إلى استشهاد الخليفة ، وكان قد أظهر أنه يريد الحج ، وكان في الواقع على اتفاق مع سائر الشاغبين وعلى اتصال محكم بشاغبي الكوفة وأهل مصر(٢) .

ولست أزعم لك أن نزول عبد الله بن سبأ في دار هذا اللص الشاغب كان حقاً ، ولست أزعم لك أيضاً أن ذلك كان باطلاً ؛ ولكني لا أبيح لك سراً أن قلت لك بأني غير مطمئن إلى هذا الحديث الذي يرويه « يزيد الفقعسي » ولا إلى أكثر أحاديث هذا الراوية . لقد كان هوى « ابن جبلة » وجماعته من أهل البصرة مع « طلحة » فلم اختار ابن سبأ النزول على هذا الرجل من بين سائر رجال البصرة . وقد كان هواه مع علي . وقد كان في البصرة أناس يميلون إلى علي أيضاً ، والذي أنزل هذا الرجل على « حكيم بن جبلة » في نظري هو « يزيد » نفسه صاحب هذا الحديث لغرض سينجلي لك فيما بعد .

لم يتحدث الطبري عن نشاط عبد الله بن سبأ في البصرة ولا عن الفتنة التي أثارها في جنوب العراق . وكل ما قاله أن الوالي بعد ما سمع بخبر هذا الذي « الذي رغب في الإسلام ورغب في جوار ابن عامر » قال له « أخرج عني » ، فخرج حتى أتى الكوفة فأخرج منها فاستقر بمصر(٣) .

ولم يتحدث الطبري ولا غيره عن نشاط هذا الذي في الكوفة . والظاهر من كلامه أن إقامته بها كانت قصيرة ، وأنه لم يحصل على النتائج التي كان يريدها من هذا البلد ، فسافر إلى الشام . ولا ندري بالطبع متى وصل الشام ، والذي نستطيع أن نقوله أنه بلغ مقر « معاوية بن أبي سفيان » بعد خروجه من الكوفة ، وأن ذلك كان بعد سنة ٣٢ — ٣٣ للهجرة .

ويدعي الطبري استناداً على أقوال « يزيد الفقعسي » أيضاً أنه

(١) الطبري ج ٥ ص ٩٠

(٢) شرح نهج البلاغة لعز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله المدائني الشهير بابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٢ طبعة دار الكتب العربية الكبرى .

(٣) الطبري ج ٥ ص ٩٠

بمقدار فهمها لكنهه واستصفائها لسريرته ؟

على أن القدرة على التقمص لا تكفي في اكتسابها الرغبة والإرادة والمحاولة ، وإنما هي في أغلب ما تكون استجابات نفسية تستبد بما بين أحناء الضلوع .

وهذه القدرة على التقمص لا تسلس بالمظاهر ، ولا تتأتى بضروب التكلف والصنعة ، فلا بد أن تستند إلى مؤثرات طبيعية وتأثرات باطنة .

وحسبنا مثلا لذلك شخصية « المتعبد » ، فقد تعاقب على محاولة تقمصها ألوف من سدنة المعابد وعمار الصوامع متخذين لها أقصى ما في الوسع من ظواهر ورسوم ، يسبحون السبوح ويرددون الأناشيد ويتلون الصلوات ، ولكن القليلين من هؤلاء جميعا هم الذين استطاعوا أن يتقمصوا شخصية « المتعبد » على حقيقتها ، فوسموا تعبيرهم عن هذه الشخصية بميسم الخلود . وهذه أناشيد « أخناتون » التي يناجي بها ربه ما تزال تتقد فيها حرارة الإيمان ، لأنها وحي قوي لمتعبد صادق الإحساس ، صادق الأداء .

محمود تيمور

« لما ورد ابن السوداء الشام لقى أبا ذر فقال يا أبا ذر ، ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ؛ ألا إن كل شيء لله ؟ كأنه يريد أن يحتجنه دون المسلمين ويمحو اسم المسلمين » فتأثر أبو ذر من مقالته وذهب إلى معاوية فقال : « ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله ؟ قال : يرحمك الله يا أبا ذر ، ألسنا عباد الله والمال ماله والخلق خلقه والأمر أمره ؟ قال فلا تقله . قال فإنى لا أقول إنه ليس لله ، ولكن سأقول مال المسلمين »(١) .

وخرج أبو ذر مغضباً من معاوية غير مقتنع بقوله ، وصار ينادى فى أهل الشام ويقول : « يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء . بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذاك وأوجبوه على الأغنياء ، وحتى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس ، فكتب معاوية إلى عثمان أن أبا ذر قد أعضل بى ، وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب إليه عثمان أن الفتنة قد أخرجت خطمها وعينيها ، فلم يبق إلا أن تثب فلا تنكا القرح . وجهز أبا ذر إلىّ وابعث معه دليلاً وزوده وارفق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت ، فإنما تمسك ما استمسكت . فبعث بأبى ذر ومعه دليل »(٢)

وذهب « ابن سبأ » وهو بالشام إلى رجل آخر توسم فيه الانقياد والإذعان لمقالته بسهولة ، وهذا الرجل هو « أبو الدرداء » وتحدث إليه بالحديث الذى ذكره لأبى ذر محاولاً إغراءه غير أن « أبا الدرداء » كان حذراً ذكياً فقال له « من أنت ؟ أظنك والله يهوديا » فأتى عبادة بن الصامت وأظهر له نفس المقالة « فتعلق به فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذى بعث عليك أبا ذر »(٣)

فيظهر من حديث « يزيد الفقعسى » الذى حكاه الطبرى عن طريق « سيف » أن نداء « أبى ذر » هذا وتحريكه الفقراء على الأغنياء إنما كان بتحريض « ابن سبأ » والحديث كله كما قلت فى حاجة إلى تمحيص . فقد غادر « أبو ذر » الشام فى عام ٣٠ للهجرة ، وترك « المدينة » فى نفس هذه السنة إلى الربذة حيث

(١) الطبرى جـ ٥ ص ٦٦ ، ابن الأثير جـ ٣ ص ٤٧
(٢) الطبرى جـ ٥ ص ٦٦ راجع عن علاقة عثمان بأبى ذر شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد جـ ١ ص ٢٤٠ فما بعد
(٣) الطبرى جـ ٥ ص ٦٦

أقام بها إلى أن اختاره الله إلى جواره فى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة أى قبل مجىء « ابن سبأ » إلى البصرة (١) . ومعنى هذا أن مجىء « عبد الله بن سبأ » إلى الشام كان بعد وفاة « أبى ذر » وبعد خروجه من الشام بما يزيد على سنتين .

ثم إن صاحبنا « أبوذر » لم يكن من أولئك الرجال البسطاء السذج الذين كانوا يستجيبون لدعوة رجل لا يعرف من أمره شيئاً ، وقد رأيت أنه سبّ « كعب الأحبار » وقد كان أعلى من هذا النكرة « ابن سبأ » درجة وعلماً ومقاماً ، وأقدم من أخيه فى الدين إسلاماً ، حينما تعرض لبحث فى حضرة الخليفة الشهيد ورجل يقول لكعب الأحبار « يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا والله لتسمعن منى أو لأدخل عليك » (٢) . أو « ياابن اليهوديين أتعلمنا ديننا » (٣) . ثم لا يكتفى بذلك وهو فى حضرة خليفة بل يرفع محجنه فيشج ناصية كعب حتى يضطر الخليفة إلى استرضاء كعب والاعتذار منه . إن رجلاً مثل هذا لا يمكن أن يسلم نفسه إلى مسلم حديث العهد بالإسلام لم يعرف من أمره غير الشاغبة والتجول بين الأقطار . ثم يقنع بدعوته بمثل تلك السهولة التى لا تتناسب مع ما عرف عنه من صلابة أبى ذر وشدة تمسكه برأيه .

وقد روى كثير من المؤرخين قصة « أبى ذر » بشكل آخر قالوا إنه كان يتلو قوله تعالى : (والذينَ يكنزُونَ الذَّهبَ والفضَّةَ ولا يُنفقونها فى سبيل الله فبشرهُمْ بعذابٍ أليم) وتعليقاته المعروفة الواردة فى حديث « زيد الفقعسى » أيام كان فى المدينة ، وقبل ذهابه إلى الشام كان يقول ذلك لما شاهد من الثراء الذى انهال على بنى أمية وآل مروان ، فضاق أغنياء المدينة به ذرعاً فنفى إلى الشام لعلمهم بأن « معاوية » رجل ذكىّ حليم يكفيهم هذا الرجل ويلهيه . فلما يئس منه ووجد أنه أصبح خطراً على أهل الشام أعاده إلى المدينة ، ثم استقر بالربذة إلى أن وافاه الأجل فى سنة اثنتين وثلاثين للهجرة (٤) . والمعروف عنه أنه كان زاهداً وكان ينفق ما يصيبه من مال ويدعو إلى ذلك منذ أيام

(١) الطبرى جـ ٥ ص ٨٠
(٢) الطبرى جـ ٥ ص ٦٧
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد جـ ٢ ص ٢٤٠
(٤) الطبرى جـ ٥ ص ٦٧ ، وابن الأثير وكتب التاريخ الأخرى

الرسول . فقصة « عبــد الله بن سبأ » مع « أبي ذر » قصــة موضوعة أعتقد أن واضعها هو « زيد » أو « سيف » ولم يؤيدها رواة آخرون مثل « زيد بن وهب » وغيرهم ممن ذكروا سبب نفي أبي ذر[1] .

ولم يتحدث « زيد الفقمسي » صاحب أحاديث عبــد الله ابن سبأ عن نشاط هذا الذي في الشام وعن مدة إقامته في هذا البلد . والذي يفهم من أقواله أنه لم يتمكن من عمل أي شيء في « دمشق » وأن « معاوية » لم يقبض عليــه ، وأنه غادر أرض « بني أميــة » إلى أرض أخرى هي « مصر » ليزرع في ذلك البلد بذور الفتنة التي زرعها في العراق

وفي « مصر » على ما يظهر من روايات الطــبري لقي « ابن سبأ » نجاحاً كبيراً ، وترأس في هذا القطر الفتنة التي أدّت إلى استشهاد الخليفة . ويظهر من أقوال « زيد الفقمسي » أنه جاء وهو في مصر بمقالة جديدة تضمنت عدة آراء فيها « الرجعة » و « الوصية » و « الإمامة » ثم اختتم كل هــذه المسائل الهامة « بالطعن على الأمراء » وبالمكاتبة مع الأمصار الأخرى في عيوب الولاة . وقد تمكن بأساليبه المعروفة من إهاجة الرأي العام ومن تسميم الأقطار فكان أن غادر وفد مصر يريد الحجاز ، وكان أن غادر وفد البصرة متظاهراً أنه يريد الحج ، وكان أن تألبت كل هذه الوفود على الخليفة ولم ترحل عن مدينة الرسول حتى قتل . وكان من أهم أبطال الفتنة بمصر « عبدالله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر » .

وأما الذي يظــهر من أقوال الرواة الآخرين فهو أن هــذه المقالات المنسوبة إلى « ابن سبأ » إنما كان قد وضعها في العراق وأنه وضعها في مكان مناسب جداً لمثل هذه الآراء وهو «الكوفة» التي عرفت بميلها إلى علي وأولاده ، وبانقــلابها على عليّ وأولاده في الوقت نفسه .

والواقع أن محيط الكوفة هو صورة صادقة للمحيط الوسط الذي كان بين الحضارة وبين البــداوة . وبين الإطاعة للأمراء وبين الميل إلى الفوضى ومعصية الأمراء والطعن على أصحاب الحل والعــقد . ولا غرابة في ذلك فقد كانت هــذه البلدة على سيف الصحراء ، وقد كانت ممصرة مصرت فيها أجناس وأنواع من البشر ، فلا عجب إن رأينا فيهــا ذلك الخليط العجيب وذلك الانقلاب السريع .

ولم يذكر أحد من الرواة غير « زيد الفقمسي » هذه المقالة على أنها كانت من صــنع « ابن سبأ » في مصر . وحــديث « عبد الله بن سبأ » في مصر هو من روايات هــذا الراوية ليس غير . أما أصحاب الأخبار الذين تحدثوا عن « عبد الله بن سبأ » مثل « الشعبي » وأمثاله فقــد وضعوه في العراق وجعلوا مكانه الــكوفة ومنفاه « ساباط المدائن » ولم يبعــدوه إلى أكثر من ذلك كالذي فعله « زيد » .

(للــكلام صلة) جواد علي

[1] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد جـ ٢ ص ٢٤٠

من مغموري العلماء

للأستاذ محمد كرد علي بك

علي ابن ربن

في المؤلفين من لم نعرفهم إلا بصفحات قليلة مما أبقت عليه الأيام من ألوف صفحات كتبوها ، ومنهم علي بن ربّن الطبيب الفيلسوف المتفرد بالطبيعيات . نشأ هذا المظلم في طبرستان ؛ يتصرف في خدمة ولاتها ، وكتب للمازيار بن قارن ، ووقعت فتنة في بلاده فخرج إلى الري ، وهناك قرأ عليه محمد بن زكريا الرازي الحكيم المشهور ، واستفاد منه علماً كثيراً . ثم رحل ابن ربّن إلى العراق فبان فضله ، وأسلم على يد المعتصم ؛ فقربه ، وظهر بالحضرة فضله ، وصار من أطباء البيت العباسي ، وأدخله المتوكل على الله في جملة ندمائه . وقالوا إنه كان بموضع من الأدب .

ألف ابن ربّن كثيراً في الطب والصحة ، وأهم كتبه على ما يظهر كتاب فردوس الحكمة ، وهو معلمة (انسيكلوبيديا) طبية عامة أنجزه في بغداد . وهناك أخذ عنه حنين بن إسحق . وله كتاب في الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب . وعرفنا ابن ربن من كتاب له صغير أسماه : « الدين والدولة » أثبت فيه نبوة الرسول (ص) إثبات عالم عارف بالأديان الأخرى ، ولا سيما اليهودية والنصرانية . وكتابه هذا يدل على اضطلاعه بالحكمة ، وأنه ما انتحل الإسلام إلا عن بصيرة . وقد جوّد الكلام عن الصحابة ، وجميل سيرتهم ، وعفتهم عن المال والرفاهية ؛ كما جوده في فصل أمية الرسول (ص) .

ومن أجمل ما في كتاب الدين والدولة نقول عن الكتاب المقدس والنبوات ، عليها مسحة من البلاغة أكثر من الترجمات المتداولة ، ولعلها منقولة عن الترجمات الضائعة من التوراة والإنجيل ؛ إذ أنه ترجمها هو بنفسه لما كتب كتابه . ويطالعك هذا الكتاب : بأن مؤلفه الحكيم الطبيب المظلم هو من أعظم علماء الأديان ، وأنه دان بالإسلام وهو رجل ، وعرف سورة الاحتجاج على أرباب الأديان الأخرى وإفحامهم ببراهينه . وقيل إن أمير المؤمنين المتوكل ساعده على هذا التأليف . ولو لم تبق الأيام عليه لنسي حتى اسم علي بن ربّن ؛ اللهم عند أفراد قلائل يعانون درس الحكمة القديمة والطب القديم .

مثال من كلام ابن ربن : قال في الدلائل على تصحيح الأخبار : رأينا أمماً كثيرة العدد ، عظيمة القدر ، موصوفة بالأفهام والأصلاح ، يشهدون لمدة من الخبثة الكذابين بجميع ما ادعوه ؛ مثل الزنادقة والمجوس ؛ إما تقليداً أو إلفاً ، وإما غباوة وعمى ، وإما إجباراً أو كرهاً ، كما فعل زرادشت متنبيء المجوس فانه لم يزل يتأتى لبشتاسف الملك حتى وصل إليه ، وزرع من وساوسه في صدره ؛ ثم لم يزل يختله بذكر الله ، والدعاء إليه ، ويفتل في الذروة والغارب حتى نحّاه عن دينه ، ولواه إلى رأيه . ثم أظهر له ما كان يضمره من الشرك ، وزين له نكاح الأمهات والبنات ، وأكل القذر المذر من النجاسات ؛ فكان الملك بعد ذلك هو الذي أكره أهل مملكته على دينه . وفعل ماني شبيهاً بذلك ؛ فإنه ظهر في زمان كان الغالب فيه دينان : النصرانية والمجوسية ؛ فاختدع النصارى بأن قال لهم إنه رسول المسيح عليه السلام ، وخلب المجوس بأن وافقهم على الأصلين . فلما وجدنا من الإجماع ما هو هكذا ، ووجدنا منه ما هو كالإسلام ؛ علمنا أن قبول كل إجماع فتنة ، ورد كل إجماع ضلالة ...

ابن حبان

كان أبو حاتم محمد بن حبان البستي (٣٥٤) مكثراً من الحديث والرحلة والشيوخ عالماً بالمتون والأسانيد ، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره ، فعدّ من طبقة البخاري فيه ؛ حتى قيل إن صحيحه أصح من سنن ابن ماجه . سافر ما بين الشاش والإسكندرية ، وأدرك العلماء والأئمة والأسانيد العالية . وكان وعاء من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، عارفاً بالطب والنجوم والكلام ، عاقلا ممدوداً في الرجال . صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه . وولى قضاء سمرقند وغيرها من المدن ، ثم صُرف عن القضاء فيما قيل بدعوى أنه زعم أن النبوات علم وعمل . وصنف لأبي الطيب المصعبي كتاباً في

القرامطة ، والقرامطة كانوا يهددون ملك العباسيين . وقال بعضهم إن له أوهاماً أنكرت فطعن عليه بهفوة منه بدرت ، ولها محل لو قبلت . وقتله الخليفة بدعوى أنه يعرف بعض العلوم الرياضية وهو فى الثمانين من عمره . والغالب أن قتله كان سياسياً فى أمر يضر ببنى العباس . قالوا كانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته وقد سبَّلها ووقفها وجمعها فى دار رسمها بهـا جعلها لأصحابه ، واتخذ مسكناً للغرباء الذين يقيمون بها وأهل الحديث والتفقهة ، وجعل لهم جرايات يستنفقونها داره ، وأوصى وصيته أن يبذل كتبه لمن يريد نسخ شيء منها من غير أن يخرجها منها . وذكروا أن السبب فى ذهاب كتبه تطاول الزمان ، وضعف السلطان ، واستيلاء ذوى العيث والفساد ، على تلك البلاد ، وجهل أهلها ، فلم تساور بالنسخ ؛ فضاع أصلها ، ولم يكثر فرعها .

قال أحمد بن ثابت : ومن الكتب التى تكثر منافعها ، إن كانت على قدر ما ترجمها به واصفها ، مصنفات أبى حاتم محمد بن حبان البستى ، ومنها كتاب الصحابة وكتاب التابعين وكتاب أتباع التابعين ، والفصل بين النقلة ، وعلل أوهام أصحاب التواريخ ، وعلل حديث الزهرى ، وعلل حديث مالك ، وعلل مناقب أبى حنيفة ومثالبه ، وعلل ما استند إليه أبو حنيفة ، وغرائب الأخبار ، وما أغرب الكوفيون عن البصريين ، وما أغرب البصريون عن الكوفيين ، وكتاب أسامى من يعرف بالكنى وكنى من يعرف بالأسامى ، والفصل والوصل ، ومناقب مالك ، ومناقب الشافعى ، ووصف العلوم وأنواعها ، والهداية إلى علم السنن ، ومحجة المبتدئين ، والعالم والمتعلم ، والوداع والفراق ، والتوكل والتقاسيم ، والأنواع ، وكتاب الثقات ، وكتاب الجرح والتعديل ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب صفة الصلاة ، ومراعاة الإخوان ؛ إلى عشرات غيرها من الأجزاء فى الشريعة والحديث والفقه خاصة .

ولم يطبع من جميع هـذه الكتب المحررة سوى كتابه : « روضة العقلاء » قسمه إلى زهاء خمسين مطلباً أبتدأ كل مطلب بحديث يتعلق به ، وأتبعه بما قصد بيانه ، ووشاه بشواهد كثيرة من الشعر وغيره ببيان باهر ساحر ، يستفيد منه الكبير والصغير ، ويتأدب به الأمير والأجير ، ويغنى غناءه فى تهذيب الرجال والنساء

وينقل المؤلف الكلام المنظوم والمنثور بالرواية على أصول المحدثين ، ومنظومه كله جدير بالاستظهار والاستشهاد لما ضمنه من عظات ونكات ، يتكلم من عنده كلاماً يدل على العقل الواسع ، ولطف الأداء ، وقد يورد فى أكثر الفصول قصصاً تروق العامة والخاصة ، ويخاطب العقل وما يجدر بصاحبه عمله . وقد نسق تأليفه تنسيقاً عجيباً لم يخلُ به من أوله إلى آخره ؛ فجاءت مطالبه متساوية الحجم والفائدة ، آخذة من الحسن والإحسان بأوفر نصيب .

ومما قاله : لا يكون المرء بالمصيب فى الأشياء حتى تكون له خبرة بالتجارب . والعاقل يكون حسن المأخذ فى صغره ، صحيح الاعتبار فى صباه ، حسن العفة عند إدراكه ، رضى الشمائل فى شبابه ، ذا الرأى والحزم فى كهولته ؛ يضع نفسه دون غايته برتوة (خطوة) ثم يجعل لنفسه غاية يقف عندها ، لأن من جاوز الغاية فى كل شيء صار إلى النقص ، ولا ينفع العقل إلا بالاستعمال ، كما لا تنفع الأعوان إلا عند الفرصة ، ولا ينفع الرأى إلا بالانتحال ، كما لا تتم الفرصة إلا بحضور الأعوان . ومن لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه ، أخاف أن يكون حتفه فى أقرب الأشياء إليه . رأس العقل المعرفة بما يمكن كونه قبل أن يكون . والواجب على العاقل أن يتجنب أشياء ثلاثة ، فانها أسرع فى إفساد العقل من النار فى يبس العوسج : الاستغراق فى الضحك ، وكثرة التمنى ، وسوء التثبت . لأن العاقل لا يتكلف ما لا يطيق ، ولا يسعى إلا لما يدرك ، ولا يعِدُ إلا بما يقدر عليه ، ولا ينفق إلا بقدر ما يستفيد ، ولا يطلب من الجزاء ، إلا بقدر ما عنده من الغناء ، ولا يفرح بما نال إلا بما أجدى عليه نفعه منه . وهنا رأينا فى بعض كلامه ما أثر قبل زمنه لعبدالله بن المقفع . وختم هذا الكلام بما أنشده عبد الرحمن بن محمد المقاتلى :

فمن كان ذا عقل ولم يك ذا غنى
يكون كذى رجل وليست له نعل
ومن كان ذا مال ولم يك ذا حجى
يكون كذى نعل وليست له رجل

محمد كرد على

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غنى

سفير إيران بمصر

– ٢ –

٣ – تعريب الكتب الطبية :

ظهر الدين الإسلامى فى أوائل القرن السابع الميلاد وفى خلال سنوات قليلة قهر المسلمون الامبراطوريات وامتد نفوذ الإسلام إلى البلاد الواقعة فى مابين السند والقوقاز وعمها جميعاً ، ثم بلغ أفريقية الشمالية وأسبانيا حتى بعض جزر بحر الروم مثل صقلية وسردينية وغيرهما .

وانقضى القرن الأول من الهجرة بالغزو والفتح وتأسيس الحكومات العربية العظيمة فاستولى المسلمون على بلاد كانت مراكز للحضارة ، ودخلت بلاد ، كانت تعتبر حواضر للعلوم والفنون مثل دمشق وقيصرية والاسكندرية فى حيازتهم ؛ وفى أثناء هذه الفتوح وعندما كان المسلمون مشغولين بتدعيم أسس ممالكهم أدركوا أن من المحتم عليهم أن يقتبسوا من حضارات البلاد المفتوحة والأمم المغلوبة ما يمكن اقتباسه ، فبدأوا بذلك وبلغت هذه الفكرة شأوها بوجه خاص فى عهد الخلفاء العباسيين حينما كان للإيرانيين شأن كبير فى إدارة أمور المملكة الاسلامية ، فألحق بكل مسجد مدرسة ، وانشئت مكتبات ، وأسست مستشفيات ، وبدأوا فى تدريس جميع العلوم ولا سيما علوم الشريعة والطب والفلسفة فى مدارسهم .

قلنا إن النسطوريين وحكماء الأسكندرية الذين سبقت لهم الهجرة إلى المشرق ثم اليهود والأقباط والسريان كانوا قد هيأوا مقدمات هذه النهضة الفكرية قبل بدئها بقرنين ولا سيما السريان منهم وهم من أبناء عمومة العرب ، وذلك بنقل علوم اليونان من السريانية إلى العربية . وسنذكر فيما بعد لمحة عن الترجمة عند العرب يمكننا أن نقسم المسلمين الذين اشتغلوا بالعلوم المختلفة ومنها الطب إلى طبقتين : المترجمين والمؤلفين .

فالمترجمون منهم كانت براعتهم مقصورة على القيام بالترجمة ، وكانوا يتقنون اللغة العربية كما يتقنون السريانية أو اليونانية أو كلتيهما فيقومون بترجمة العلوم من إحدى هاتين اللغتين إلى العربية وكان هذا كل عملهم .

أما المؤلفون فهم الذين كانوا قد درسوا كل المؤلفات والآثار المترجمة وكان لهم بحث ونظر وآراء خاصة حول مادرسوه وتآليف ظهرت فيها شخصياتهم العلمية بصورة واضحة . كان بعضهم يدخل ضمن كلتا الطبقتين مثل يعقوب الكندى فى الفلسفة ، ويوحنا بن ماسوية وحنين بن اسحق فى الطب ، فإنهم مترجمون كما أنهم فى الوقت نفسه مؤلفون وأصحاب نظر ورأى خاص . فقد كان حنين بن اسحق (ويسميه مترجمو اللغة اللاتينية فى القرون الوسطى يوهاينتيوس yohannittius) من نصارى الحيرة وكان فى شبابه يبيع العقاقير الطبية ويدرس الطب فى نفس الوقت على يوحنا بن ماسويه . ويروى أنه ألقى على أستاذه يوما فى مجلس درسه كثيراً من الأسئلة مما أثار غضب الأستاذ ، فقال له ما لأهل الحيرة وللطب؟ كان الأجدر بك أن تطوف بأزقة الحيرة وتصرف النقود فتألم حنين من كلام أستاذه وآلى على نفسه أن يتعلم اليونانية ليستغنى بها عن أستاذه فى تعلم الطب ، وقد أتقنها ثم عاد إلى جنديسابور وبرز فى فنه حتى عد من طراز جبرائيل بن بختيشوع وابن ماسويه وأضرابهما أى أنه يدخل ضمن الطائفتين المؤلفين والمترجمين .

وكان خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان أول أمير من بنى أمية اهتم بعلوم اليونان اهتماما خاصاً حتى لقب (بحكيم آل مروان) فقد جمع هذا الأمير نظراً لشغفه بكشف أكسير الكيمياء حكماء اليونان المقيمين فى مصر فى رحابه وطلب إليهم أن يعربوا المؤلفات اليونانية والمصرية عن أكسير الكيمياء من اللغتين اليونانية والقبطية ، وهذا حسب ما يعتقد ابن النديم أول نقل فى الاسلام من لغة إلى لغة .

يقول برتلو Marcelin Berthelot فى مؤلفه عن تاريخ الكيمياء فى القرون الوسطى : (كان جل هم الكيماويين الحصول على الأكسير الأعظم وحجر الفلاسفة ، غير أنهم خلال تجاربهم للوصول إلى هدفهم هذا وفقوا لاكتشافات كبيرة فى الكيمياء

ولاتزال المصطلحات الكيماوية التي وضعها العرب مثل الكحول — والأنبيق — وغيرها متداولة في جميع اللغات الأوروبية تشهد بما كان للعرب في هذا الفن من سابقة وفضل) .

وهناك أمر هام أرى لزاما على أن أشير إليه وهو أن لوكارك Leclerc يشير في مؤلفه (تاريخ طب العرب) إلى أنه يعتقد أن مبدأ تاريخ اقتباس العرب من علوم اليونان يجب أن يرجع إلى ما قبل زمن خالد بن يزيد بمائة سنة أي أنه يعتقد أن تاريخ فتح مصر يجب أن يعتبر مبدأ لعهد اقتباس العرب من علوم اليونان ؛ فإن يحيى النحوي وكان من ملازمي عمرو بن العاص وخواصه هو نفسه — حسب معتقد لوكارك — يوحنا فيلوبونوس john—PHIloponus شارح كتب أرسطو وكان في الأصل من القسس اليعقوبيين وقام بترجمة بعض المؤلفات اليونانية إلى العربية بعد إسلامه . ويشير ابن النديم في الفهرست ضمن ذكر أسماء مؤلفاته ومقالاته إلى أنه قام بشرح بعض مؤلفات جالينوس الطبية .

وعلى أي الأحوال فإن من المسلم به أنه قد ترجمت في زمن خالد ابن يزيد بن معاوية كتب في الكيمياء والطب وعلوم أخرى من اليونانية .

ويذكر ابن النديم مترجما باسم (اصطفن القديم) ويقول إنه قد ترجم كتباً في الصنعة أي الكيمياء وغيرها إلى العربية لخالد بن يزيد . وكانت هذه الحقبة مقدمة لظهور العلماء أصحاب الرأي والنظر .

ففي عهد المترجمين في القرن الأول الهجري أو بعد ذلك بقليل كانت تراجم كتب الطب وسائر العلوم من اليونانية مزيجاً من الأصل المترجم عنه مع عادات المسلمين ومبادىء الصحة في الإسلام ، ونادرا ما نجد طبيباً مسلماً يبدي رأياً أو نظراً خاصاً ، بل كانوا على الأغلب الأعم يسيرون على النهج الذي سار عليه القدماء . في حين أننا نجد في العصور التالية أي في عصور النهضة العلمية الإسلامية علماء كبارا تجاوزوا مرحلة الترجمة والتتلمذ فكان لهم استقلال في الرأي والنظر . ومع أن أساس معارفهم مقتبس ومأخوذ من علوم اليونان — ومع أنهم معترفون بفضل بقراط وجالينوس اللذين يذكرون دائما اسميهما بكل تجلة واحترام — إلا أن النظر والرأي ظاهران بصورة جلية في مؤلفاتهم . ونجد فيها أحياناً نقداً لآثار القدماء ومؤلفاتهم ، فترى الأطباء المسلمين يقومون بتجارب جديدة في الطب ، وتراهم يطبقون تعاليم طبية مفيدة على المرضى في المستشفيات كما ترى منهم شيئاً كثيراً من الابتكار والابتداع ولا سيما في طرق العلاج واستعمال الأدوية والعقاقير . وقد ترك علماء هذا العهد مؤلفات كثيرة قيمة في هذا الصدد .

وفي هذا العهد نرى الرازي يبدي شكوكا على أقوال جالينوس كما نرى ابن سينا ينتقد فلسفة المشائين في مقدمة مؤلفه حكمة المشرقيين . وفي هذه العصور أصبحت الأندلس وبغداد من مراكز الطب المهمة حتى قيل إنه كان في مكتبة قرطبة وحدها ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف العلوم والفنون .

ويختلف حكم الناس بالنسبة للخدمة التي أسداها المسلمون لعلم الطب؛ ففريق يعتقد أنه لولم توجد الحضارة الإسلامية لضاعت آثار بقراط وجالينوس وأمثالهما في ظلام القرون الوسطى ولخسرها العالم إلى الأبد ، وإن بقاء هذه الآثار العلمية والمؤلفات كان بفضل وجود المسلمين واهتمامهم بها ، وإن هذا التراث العلمي الغالي لم يسلم بفضلهم من الفناء والضياع فحسب ، بل أضيف إليه الشيء الكثير .

ولما ضعف المسلمون فيما بعد وخرج كثير من البلاد كالأندلس من يدهم كان خير ما تركوه لأخلافهم ذلك التراث العظيم من العلوم والفنون .

هذا رأي فريق ، غير أن فريقا آخر يرى ، ورأى بمعظمهم ناشىء عن الجهل أو الغرض أو التعصب ، أن خدمة المسلمين للطب ليست بذات بال ، فإن هذا التراث العلمي بقي مدة كأمانة لدى المسلمين ورجال الكنيسة ، لكنهم لم يضيفوا إليه شيئاً من عندهم حتى جاءت النهضة الأوروبية فتسلمه منهم رجال ذلك العهد واستفادوا منه .

والحق وسط بين هاتين العقيدتين المتضادتين المتطرفتين ؛ فلاريب أنه لولم يقم المسلمون — بجمع آثار المتقدمين من العلماء وترجمتها ونقدها وشرحها وتفسيرها بتلك الدقة العظيمة لضاع الشيء الكثير من آثار اليونان العلمية . وخير شاهد على ذلك أن كثيراً من مؤلفات اليونان في الطب قد ضاعت نسخها الأصلية

ولم يبق منها إلا ترجمتها العربية مثل الكتاب السابع من التشريح لجالينوس ؛ فالموجود منه الآن – هو ترجمته العربية ليس غير .

زد على ذلك أن بعض الأطباء من المسلمين قد أسدوا إلى عالم الطب خدمات عظيمة ولاسيما في الطب العملي والجراحة ؛ وقد برز كثير منهم في هذا المجال أمثال على بن العباس المجوسي الأهوازى وأبى القاسم بن خلف الزهراوى .

فان لم نقل إن كل ما وجد في القرون الوسطى من علوم الطب كان بفضل الأطباء المسلمين فلا أقل من انصافهم بذكر الحقيقة وهى أن الطب في القرون الوسطى مدين للطب الإسلامى والأطباء المسلمين ديناً عظيما .

والذين يقصرون فضل حفظ التراث العلمى القديم على العرب فحسب مبالغون في قولهم هذا كذلك ؛ فهؤلاء يقولون أنه لولا المسلمون لانقطعت الصلة تماما بين النهضة الأوروبية والعلوم اليونانية القديمة . وليس مايقولونه كل الحق فان قسطاً عظيما من الكتب العلمية اليونانية كان موجوداً في أديرة المسيحية ، وقد درسها وبحث فيها عدد من رجال العلم وحفظوا للعالم علوم اليونان وطرائق بحثهم ودراستهم العلمية .

وأهمية الطب الإسلامى تقتصر على أنه كان طوال قرون عديدة أى منذ انحطاط الحضارة والعلوم عند اليونان إلى زمن النهضة الأوروبية أهم مصادر علوم اليونان وأصدقها . ولا يفتنا أن نذكر هنا أن الطب الإسلامى كسائر العلوم التى انتشرت بين المسلمين – وإن كان معظمه مأخوذاً عن مؤلفات اليونان وكتبهم فان قسطاً منه مأخوذ ولا شك عن مصادر إيرانية وهندية وسريانية . ومن أراد التفصيل فليراجع الفهرست (طبعة مصر صفحة ٣٤٠ وما بعدها) وفيه أسماء المترجمين الذين ترجموا إلى العربية من اللغات المختلفة ومنهم ابن المقفع وكثير من آل نوبخت الذين نقلوا إلى العربية كثيراً من الكتب الفارسية .

ويجدر بنا أن نشير في هذا المقام إلى أن كثيراً من هذه الكتب التى عربت عن الفارسية الساسانية كان أصلها يونانيا ترجمت إلى الفارسية في عهد الساسانيين ثم قام بتعريبها الايرانيون أنفسهم ؛ ومن هذه الكتب كتب في المنطق[1] والطب

(١) توجد نسخة نادرة من كتاب المنطق لابن المقفع في مكتبة الإمام الرضا بمشهد (خراسان) ويرجح أن تكون نسخة فريدة وقد نسخت عنها في المدة الأخيرة بضع نسخ بأجازة المكتبة المذكورة .

ترجمها ابن المقفع إلى العربية ، وكتاب في الطب أيضا لثياذوسيوس[1] (Thécdseaus) الطبيب الخاص لسابور الثانى عرب من الفارسية

وقد كان للايرانيين أثر واضح في الطب بصفة خاصة عن طريق مدرسة جنديسابور . فبرغم أن أساس التعليم الطبى في تلك المدرسة كان الطب اليونانى إلا أنه قد اصطبغ بصبغة إيرانية بالتدريج ، وكان للقريحة الايرانية أثر كبير ونفوذ عظيم في منهج التعليم بها .

وقد ترجمت كتب أخرى من اللغات الهندية والقبطية إلى العربية ذكر ابن النديم كثيراً من أسمائها وأسماء الذين قاموا بتعريبها .

(يتبع)

(١) واسمه في الكتب العربية تياذوق

من لندن :

معركة العروبة فى فلسطين

أهدافها ووسائلها

للأستاذ إبراهيم زكى أباظه

قد لا يصل هذا العدد من الرسالة إلى أيدى القراء إلا بعد انتهاء الانتداب البريطانى المشئوم على فلسطين ، ودخول الجيوش العربية إليها ، وسحق الأخطبوط الصهيونى الذى يبث الويل والدمار حيثما سار وحل ... وفى حمأة هذه الحوادث وهذا الاختلاط فى الوضع ، تطيش رؤوس وتضيع حقائق هى أجدر ألا تغيب عن أنظار الباحث الحكيم والمخطط البعيد النظر ... إذ بينما يسير انتباه العالم بكامله الآن نحو الطرفين الرئيسيين فى القضية وهما العرب واليهود ليرى نتيجة صراعهما ، نجد من النادر وجود امرئ يحدد مسئولية بريطانيا ويفيها حقها من اللوم على ما يجرى فى البلاد المقدسة من سفك دماء وتدمير ...

إن كل عليم بتطورات القضية الفلسطينية ليدرك تمام الإدراك أن بريطانيا هى الجانية الأولى والأخيرة فى كل ما وقع وسيقع ؛ وإنه لما يؤلم ضمير كل محب للعدالة ، أن يجد فى بريطانيا اليوم ممثلة لأعظم مهزلة ، بل وإنه ليجد فى سلوكها وتصرفاتها الحاضرة كل ما هو تدنيس للحقيقة وتدليس لحرمة التاريخ وتداسته ذلك أنها بعد أن خلقت المشاكل بعناصرها للوطن القومى اليهودى وباستخدامها الحراب لحمايته ووضع أسسه ، نجدها الآن وقد وقفت تندب حظها فى أن العرب واليهود يصبون عليها اللوم والعقاب بلا مبرر على حد رأيها ، بل وإنك لتراها تتباكى بسبب ما نزل بأبنائها من قتل وشنق وهى فى ذلك كله تتخذ موقف البرىء المجنى عليه ، والنبيل العادل الذى افترى عليه ... ولسان حالها يقول كالشيطان الذى قال بعد أن حبب الكفر إلى قلوب العباد . إنى برىء مما تشركون .. إن العالم والتاريخ والعدالة لتخط اليوم لبريطانيا صفحة مذلة وعار وخزى بتمثيل هـذا الدور الشائن والذى لم يقتصر على الادعاء بالبراءة بل تعـداه إلى ترك بلاد مقدسة طوال الثلاثين عاماً الماضية تحت رحمة صهيونية آثمة ، تتسلح علنا ولا من محتج ، وتستعد للحرب والفتك بالأبرياء وليس من إدارة تحاسبها على ذلك فى كثير أو قليل ، وتمعن إلى إرهاب ينمو ويتسع وينتظم تحت سمعها وبصرها وليس من تحذير أو ردع ، حتى بات العرب العزل يجابهون مجزرة بربرية فى دير ياسين وغيرها لا تقل إجراماً وتعطشا للدماء عن مذبحة سانت بارثلميو أو مذابح سبتمبر ... ومع ذلك، لم تقدم انجلترا على عمل تتخذه لحماية الأرواح... هذه حقائق ما كان أجدر بنا أن نعلمها حق العلم ونحن نخوض هذه المعركة الحاسمة ضد عدو غادر أثيم كالصهيونية ... بل وعند انسحاب البريطانيين انسحاب الجانى المتلبس بجريمته .

الصهيونية والشيوعية :

ليست علاقات الصهيونية بالشيوعية بالشيء الحديث ، وليست بخافية على كل من له إلمام بسير التاريخ الحاضر ، بل وليست من سوء الحظ بالشيء البسيط الوحيد الذى غفل عنه قادتنا ورجالاتنا . . . إذ من ينسى أن منشىء الشيوعية الأول هو ماركس اليهودى ؟ وهل من الجائز أن تنسى البلشفية الحاضرة دينها له ؟ هل تنسى اليهودية صلة النسب بهذا الرجل ومذهبه ؟ وهل من الجائز أن ينسى ستالين وأعوانه ذلك وينسوا واجبهم فى معاهدة التوسع الصهيونى ؟ ثم من ينسى أن نظام الاستقرار والاستعمار الزراعى فى فلسطين هو تطبيق نموذجى الأصول الشيوعية كما هى فى روسيا قلبا وقالبا ؟ ومن ينسى أن من بين المهاجرين اليهود الأولين لفلسطين ، جماعات روسية ركزت نفسها فى الزوايا والنقاط الحيوية فى فلسطين حيث جعلت منها مراكز لخزن السلاح وتدريس أصول الإرهاب وبث التعاليم الفوضية ؟ وعلى من يجهل ذلك أن يذهب إلى مستعمرات شمال شرق فلسطين ومرج ابن عامر ليجد ألوف النشرات المعنونة بـ « مبادىء القومية » و « وبدعة الديانة » التى جلبها معهم يهود شرق أوربا ؟ وليجد هذه كلها مع الكميات الهائلة من الذخيرة والأسلحة ... هذا منذ عام ١٩٢٠ وكما يعترف به اليهود

الروس آنئذ ... ثم من يجهل أن يهود البلقان — تلك البلاد التي هي الوطن التقليدي للإرهاب المحترف في العصر الحاضر — يقيمون الآن في فلسطين في عدد هائل وكلهم متدرب فائق الخبرة بالفنون العسكرية التي اكتسبها أثناء الحرب الحاضرة في حركات المقاومة ، وجميعهم يرحب بروسيا كحامية للبلقان ، ويرحب بأن يكون لها العون والنصير لإيجاد قاعدة بل وقواعد نشاط في الشرق الأوسط بادئين بفلسطين ؟ إن الشرق الأوسط كله الآن يعج بهذه القوى الخفية والوكلاء السريين ، كما تعج بهم موانىء دول البلقان ، وكلهم متلهف للعمل ، تواق للفتك والمغامرة من أجل فلسطين والصهيونية ، وروسيا راعيتها الأولى ... فعلينا أن نذكر هذا ونفكر في عواقبه ! !

مجموعة من الأخطار :

إن كل عليم بأصول الحضارة والتاريخ والعقلية اليهودية لا بدّ أن يفطن إلى فكرة على جانب من الأهمية وهي « أن الروح التجارية صفة بارزة في الشخصية اليهودية أينما حلت ومهما بلغت من علم وثقافة ، وهي الميزان الوحيد في نشاطهم الدنيوي والأخروي سواء أكان ذلك في شراء بيضة ، أو إنجاز صفقة ، أو أداء صلاة ، أو الحصول على فلسطين » ولا يصد اليهودي عن نيل ما يبتغيه إلا أن يرى أن إهدار دمائه هو الثمن لما يرجو الحصول عليه ؛ وعندئذ يرجع خاسئاً مدحورا ، ولكن ليعاود ذلك بوقاحة وتكرار ، وبكل ما أوتيه من غدر واحتيال : لا يردعه عن ذلك رادع إنساني أو مثل أعلى ... وكم يجدر بقادتنا أن يفهموا هذه الميزة البارزة في عقلية الصهاينة ونشاطهم في هذا السكون ...

بالأمس طالبوا بوطن روحي في فلسطين ، ثم بيضعة أفدنة يزرعونها ، ثم ببيوت ومدن يبنونها ، ثم بالحصون والقلاع يرفعون سمتها ، ثم بالدولة يضمون أسسها .. ثم ماذا ؟ مطالب إثر مطالب . إذا ما أفلحوا فيها — لا سمح الله — فسيطالبون باللقمة في فم العربي يسلبونها ومعها يسلبون دعامة الحياة والبقاء .

بالأمس عُلق البريطانيون على أعواد المشانق وبالأمس اغتيل قادتهم في القاهرة وروما وبريطانيا نفسها ، بقنابل يدوية ، ونسف البنايات ودك المعاقل ... إلى آخر ما هنالك من وسائل لن تقف عند حد في وحشيتها كل ذلك لأن الصهيونية تخيلت أن هذا البريطاني أو ذلك كفر بمطالب الصهيونية ، أو لأنه احتج على أمر نبا عنه ذوقه ، أو لأنه أعرب عن رأي لم يوافق إنجيل الصهيونية ومطامعها الخطيرة ، فكان جزاؤه سفك الدم ! ثم نما الخنجر الصهيوني فإذا به ذو حدين مرهفين ، أخذ ثانيهما يفتك بالعدو الأصيل — العرب ، فمن قرى تدمر ، وأطفال ونساء حوامل تبقر بطونها ، وتنهش لحومها ، وذلك على مرأى من العالم المتمدين وعلى مرأى من الجيوش العربية ... ! ! فأمام هذا البلاء وأمام هذا الكابوس الذي فرضه الإرهاب الصهيوني على أعدائه السياسيين وعلى الرأي العام العالمي ، من يجرؤ على القول أن المصير المشئوم الذي ناله الكثيرون ، بعيد عن أن ينال ملوكنا في قصورهم ، وقادتنا في بيوتهم ، وأطفالنا في أحضان أمهاتهم ، ومساجدنا وكنائسنا ، وقبورنا وآثارنا ، ومقدساتنا وحرماتنا ! ! ومن يضمن أن يترفع هذا الإرهاب الأثيم والغدر العبري عن تدمير كل ما شدناه من آثار وتاريخ وأمجاد وحضارة ؟ إن سلامة الشرق الأوسط بأسره في كفة الميزان ؛ فعلى الملوك والعواهل والوزراء أن يحزموا أمرهم ويجمعوا رأيهم لتقليم هذا الأخطبوط الصهيوني الخطر ... ! وإلا فليس من البعيد أن يقال في عهد الملك الفلاني ، ضاعت فلسطين ثم بتفريطه في الدفاع عنها ، حلت ببلاده هو النوائب والبلايا ... وفي عهد القائد الفلاني فقدت فلسطين ومنها سارت جيوش الأعداء واحتلت بلاده . هذه أفكار ليس للتشاؤم دخل فيها ، ولكن علينا أن نتأهب للأمر وألا نلدغ من جحر مرتين ... لقد قلنا من خطر الصهيونية وخفي علينا ما في البلاد من أوكار ومكامن ، ومن قوى وأخطار وجيوش انقلبت بين عشية وضحاها إلى قوى نظامية قادرة على صب الويلات ، وإهراق الدماء بدون مقاومة تذكر :

منذ عشرين قرنا من الاضطهاد المزعوم الذي جلبه اليهود على أنفسهم ، فليت قلوبهم بالحقد والضغينة على الإنسانية جمعاء ،

أخذ يتطور الآن بعد تكتلهم في فلسطين إلى حملة من الانتقام تهدف لتصفية الحساب مع كل فرد أو مجموعة سبق في زعمهم أن ساهموا في تعذيب اليهود واضطهادهم ، وهـذه ملفات الوكالة اليهودية حافلة بخطط الانتقام ، ولم ينس الصهاينة حوادث العراق عام ١٩٤١ ، ولا حوادث الشعوب التي اعتـدت أفرادها على أقلياتهم في بلادها ، ومن بين هـذه الشعوب الشعب البريطاني والشعب الألماني ، ولـكن في المقدمة سيأتي طبعاً كل ما يزعمونه ويختلقونه من اضطهاد حل بهم في البلاد العربية المجاورة ، كما أن كل كلمة فاه بها أمير أو زعيم كانا مرقومة في سجلاتهم ، وهم متعطشون لتسديد الحساب بلا رفق ولا هوادة ، وكلما استقر بهم المقام في فلسطين وتمـكن لهم الحال فيها تعاظمت الأخطار وهذبت الخطط لانتقام مروع دام يصبونه على العروبة ودولها .

أبرزت الحوادث العديدة في السنين العشر الماضية الصلة الوثيقة بين صهيوني فلسطين ويهود الأقطار العربية ، والنشاط السري الواسع ، والوكالات والمنظمات التي يديرها هؤلاء الآخرون حتى ثبت الآن أن أفراد العصابات الإرهابية التي تفتك بالآمنين في فلسطين يتألف أغلبها من يهود عرب جُلبوا ودربوا تحت إشراف الخبراء اليهود الأوربيين ، وبسبب معرفتهم العربيـة وملامحهم العربية سهل عليهم تنفيذ تلك المهمات الإجرامية التي عهـدت إليهم . ولا يسعنا أن نغفل هنا ذكر سارة أرنسون وأفراد أسرتها التي اختصت بالتجسس في الشرق وبين القبائل في الصحراء السورية في الحرب العالمية الأولى . وأن لهذه الأسرة وكلاء لا يزالون يقومون بنفس المهمة ، كما أن الخدمة السرية للوكالة اليهودية لهـا قلم خاص للاستخبارات في الشرق الأوسط العربي ، وهو نشـيط وله أساليب هدامة مُريعة في تنفيذ خططه . وقد أثبت يهود اليمن وعدن ويهود حلب بصورة خاصة مهارة تذكر في هذا السبيل ... إن يهود البلاد العربية جيوب غدر وأعوان هجوم ، خطرها بالغ وسمها نقيع إذا ما اقترن غدرها بالتوجيه المصري والتنظيم الأخصائي تحت إرشـاد الأخطبوط الصهيوني في فلسطين .

أما توزع اليهود في العالم فله ميزة بالغة استغلها اليهود كل الاستغلال وعصروا كل خبرات الأمم التي عاشوا بينها وجلبوها إلى فلسطين لا للاستقرار فحسب ، بل للامتـداد والتوسع . وإذا ما علمنا نتاج اليهود الاقتصادي وقوتهم المالية أدركنا الاحتمالات الأكيدة النـاجمة عن ذلك فيما لو سمح لهم بالتركز في الأرض المقدسة ، وليس إنشاء أسطول ضخم ، وجيش عصري ومصرف دولي ، وإذاعة قوية ، وجامعات ومعاهد ، وحصون وقلاع ، وقواعد غزو ، إلا نماذج من هذا التوسع المتيد الأكيد .

إن هـذه مجموعة من الأخطار نقدمها هدية — قبل فوات الأوان — إلى أولئك الذين يتقلدون المناصب ويتحكمون في توجيه الرأي العام العربي ، ويوجهون سياسته ويناصرون العروبة ويشدون أزرها ، لا بدافع التشاؤم والوجل بل كصرخة يرسلها عالم متألم ، يؤمن بأن الاعتراف بالحقيقة مهما كانت مُرة قاسية هي أولى الخطوات لتسديد الخطر ، وحزم الأمر وخوض المعركة بصبر وبلاء يجدر بالصادقين الذين عاهدوا الله على النصر أو الفناء ، دفاعاً عن العروبة وأمجادها وتراثها الغالي التليد .

مبررات دخول الجيوش العربية :

مضى على انفجار القـدر الصهيوني أكثر من شهرين ، أريقت خلالها دماء ، وأزهقت أرواح ، واحتلت مدن ، واقترفت جرائم هزت وعي الإنسـانية ، وروعت أحاسيس البشرية ، وستبقى مذبحة دير ياسين الشاهد الدال على جريمـة فاقت بربرية النازيين ، بل غطت على فظاعة القتل بالغاز والخنق وجرائم القرون الوسطى ، وكل ذلك من جماعات متشردة أعدت ودربت للفتك وفرض دولة يهودية في الشرق ، وليس لأحـد منهم صـلة أو حق بهذه الأرض العربية الصميمة . ومما لا شـك فيه أن يهود العالم يمولون الاعتـداء والجرائم الصهيونية في فلسطين ، كما أن حركة التجنيد اليهودية على قدم وساق في كافة الأقطار وتحت أسماء مختلفـة أغلبها تحت اسم « حركة الشـباب العبري » ، ولهم معسكرات في كل مكان تعد الجند وتجمع القوى ، كما صدرت نماذج التحاق بالجيش لـكافة الشـباب اليهودي العالمي للخدمة في ميادين فلسطين في الحال

عند ما يطلب إليهم ذلك ، كما أخذ الكثير من هؤلاء يتسرب إلى فلسطين بكافة الطرق ومعهم تدريبهم العسكري الفائق ، هذا وإن الأخصائيين الروسيين يقودون الآن الفرق اليهودية الرابطة في عشرات الموانيء في البلقان ، وكلها عازمة على غزو عام مسلح للأراضي المقدسة .

وعلى العموم فكفة السلم في الشرق الأوسط الآن هي فريسة لتيارات عنيفة عسكرية وسياسية واقتصادية . وإذا ما علمنا أن دول الشرق فتية الاستقلال حديثة العهد ، وجدنا لأنفسنا كل مبرر يمليه الحق والعدل والأمن والسلام ، وكلها تفرض واجباً سريعاً حاسماً لدخول الجيوش العربية واجتثاث الصهيونية حتى لا تعود إلى شرورها وأخطارها الفادحة .

خطط وأهداف :

القضاء على الصهيونية كقوة عسكرية ، وخنق انتشارها كعقيدة سياسية ، وإدماج فلسطين كدولة عربية ، كجزء في جامعتنا ، وإيجاد إدارة مدنية شاملة لكافة الرعايا — هذه هي بالإيجاز ما يجب أن تهدف له الجيوش العربية عند دخولها إلى فلسطين ...

تقوم في تل أبيب الآن معاقل إرهاب ومستودعات أسلحة ومصانع تجعل من المدينة خطراً يهدد سلامة الشرق ، وإذا رأى الإنجليز في تدمير برلين العمل الوحيد لصون السلم العالمي والقضاء على رأس الثعبان النازي ، فدمار تل أبيب ونزعها كنواة لدولة يهودية ، من مخيلة اليهود ، عمل ضروري لا مفر منه إذا أردنا أن نكون عمليين في أعمالنا وخططنا لحفظ السلم في الشرق . فهذا الوكر الذي يحتله ربع مليون إرهابي عنيد يجب أن يلقى نفس المصير الذي لقيته برلين وخاريكوف وهامبرج ، ووجودها على قيد الحياة بكل ما يكمن فيها من أخطار سيكون برهانا — يوماً ما — على عقم تفكيرنا ، وقصر نظرنا .

إن الصهيونية كالنازية في أهدافها ووسائلها ، هي مذهب خالط الدم واللحم واخترقه إلى العظم في جسم كل يهودي ، لذا أصبح من الواجب على القيادة العربية ، إعداد منهج يحفظ لليهود حياتهم كأفراد خالين من شوائب الصهيونية ، كمبدأ هدم وسيطرة ، والاستعاضة عنها بثقافة سلمية أخوية تمكن لليهودي العيش بهدوء وأمن مع الجمهرة العربية في فلسطين . . . إن محق الصهيونية كمبدأ خفي هو إنقاذ لمستقبل الشرق . وكخطوة جوهرية في هذا ، يجب على القيادة ألا تغفل عن فرض رقابة شريعة في الدقيقة التي تدخل جيوشها الأراضي المقدسة على الشواطيء وإيقاف الغزو الذي ستقوم به ألوف صهيونية عدة تنتظر الأوامر بالنزول إلى البر .. إن كل صهيوني يقدم حديثاً إلى فلسطين ، هو خبير عسكري مُنتدب لمهمة خاصة في الدولة الصهيونية المزعوم إنشاؤها . .

إن دخول الجيوش العربية حادث بالغ الأهمية في تاريخ العروبة ؛ فهو أول عمل مشترك تقوم به الجامعة لحفظ حياتها ، وسيشخص العالم بأبصاره ليرى كفاءتها وحنكتها في مراحل حياتها الأولى ، وسيقبل حكمها وحلها لقضية فلسطين ، حتى ولو فرض بالقوة كما يتطلب الوقف الآن ، وسيكون حقيقة واقعة إذا ما اقترن ذلك بإيجاد إدارة مدنية ذات كفاءة وحنكة حتى ولو كانت عربية صميمة . إن الحنكة والشجاعة من القائد البارع تخضع لها رقاب الأعداء ولو كان ظالماً . هذا درس تعلمته البشرية خلال تجارب عديدة رغم عدم اعترافها به . وإن كل هوادة ، أو تراخ في هذه المرحلة الحاسمة معناها الانهزام أمام الإرهاب وانتحار الجامعة العربية ، وتحطيم الأهداف والمبادئ والمطامح التي علقتها عليها ملايين الشباب في أطراف العالم العربي

هذا يوم تشخص فيه عيون الأيتام والأطفال والنساء ، والمروعين حتى الطامحين إلى القتال ، ولكن يعوزهم السلاح والدراية ، بل وعيون العالم أجمع ، لترى جيوش العروبة تخوض معركة التحرير لإنقاذ فلسطين وإراحة العالم من قلق وخوف عجزت بريطانيا وهيئة الأمم المتحدة بسبب مطامعها وأنانيتها عن إيجاد الحل العادل لها .

إن هذا يوم له في تاريخ العروبة ما بعده ، فاجعلوه مشهوداً أغر — وللعروبة نصر محتوم وظفر محقق .

(لندن) ١٩٤٨/٥/١١

ابراهيم زكي أباظه
المحامي

الربيع الخـــالد ...

« إلى جيش النصر الظافر ... في فلسطين »

للاستاذ أحمد أحمد العجمى

ليس الربيع لنا دوحاً وأنهاراً ... ولا غنـاء وأنداء وازهارا
ولا رُبى سرحات الأيك وارفة ... كجنة الخلد آصالا وأسحارا
ولا نسيما تحس الغيد نفحته ... عطراً وافحته فى القلب إعصارا
ولا أهازيج أطيار تسيل كما ... سال الندى عبقاً من كف آذارا
بل الربيع الوشى فى مباهجه ... روح الحياة بدا كالنبع ثرارا !
روح تغلغل فى الدنيا فبد لها ... بالجدب خصباً وبالظلماء أنوارا
يرى على الأرض أشجاراً وأودية ... وفى السموات أطيافاً وأطيارا
وإنمـــا هو سر لا قرار له ... وإن تبلج أزهاراً وأقـــارا
أرى الربيع شباباً ضاحكاً نضراً ... كالبحر مصطفقاً والنجم سيارا
فإن توارى شتاء فهو أجنحة ... تهيم فى الأرض إقبالاً وإدبارا
وتقتنيه الصحارى فى بواطنها ... تشكو صدًى ثارفى أعماقها نارا
فيمتلى السحب زجياوبوسمها ... رعداً وبرقاً فهى الغيث مدرارا!
وللطبيعة إحســاس تحس به ... نور الدجى وترى للجهر أسرارا
ليست زهور الروابى فى خمائلها ... إلا قلوباً وأسماعاً وأبصارا !
وللطبيعة أسرار يبـوح بها ... فم الربيع عشيات وأبكارا
تفيض بالبهجة الكبرى، وما كبه ... أنسا وبشرا وأضواء وأعطارا
منذا يراه ربيعاً واحداً ألقـا ... وقد تعدد أطواراً وأوطارا ؟
لكل نفس ربيع فى قرارتها ... رأته رأياً ولم تبصره إبصارا !
والعين لاتبصر الأكوان حالية ... إلا بنفس ترى الأوكار أفكارا!
ورب ذى بصر أعمى البصيرة لا ... يرى بشاأر حسن هز« بشارا »
إذارأى الشمس والأقمار سافرة ... فقد رأى حجباً شتى وأستارا
وأنت يا فتنة للقلب آسرة ... ياروضة من رياض الخلد معطارا
يا صورة لربيع الحب مؤتلقاً ... ندى ونداً وأزهاراً وأثمارا
أرى بعينك لى سحراً وساحرة ... وفى محياك لى خمراً وخمارا
أنت الحياة التى تجلو الربيع لنا ... يعانق الشرق إجلالا وإكبارا
وما الربيع سوى الحرية انبعثت ... فى الشرق عزماً على الأعداء جبارا
ليعلم الغرب أن الشرق ناجزه ... بالنـــار ناراً وبالبتار بتارا !
حتى نجدد لتـــاريخ سيرتنا ... مهاجرين كما كنـا وأنصارا
وما فلسطين إلا الجنة اقتربت ... لمن يذيق «اليهود» النار والعارا
هيا إليها على أشلائهم لترى ... معنى الربيع وجيش النصر جرارا
العرب كم رفعوا للحق ألوية ... ومصر كم حررت بالسيف أمصارا

خواطر مسجوعة :

الحـــكمة

للأستاذ حامد بدر

قيل لِمَ لمْ تطل فى مقالك ؟ قلت وما عيب ذلك ؟ . إن المعنى المعزز ، فى اللفظ الوجيز ، كالحسناء الرشيقة ، فى الحلة الأنيقة . والمعنى الضئيل ، فى اللفظ الطويل ، كالجسم الغث ، فى الثوب الرث . وقد تأتى الحكمة فى كلمات ، ولا تأتى فى صفحات . كما يجزل لك السخى العطاء ، ولا يشعرك بمناء . ويثقلك الشحيح عن طويل ، لو يعطيك القليل !

فالحكمة درس كبير ، فى أوجز تعبير ، يمليه قلب بصير ، ويؤيده تجريب كثير ، فتعجب من سطور ، تتيه على الشذور ، لأنها أغنى من الكتب ، وأغلى من الذهب ، ينبعث نورها من حلك المداد ، كنور القلب ينبعث من السواد . نخذ من الحكمة ثروة قرون ، ولا تمضِ بحثاً عن ثروة قارون . إن فى الحكمة ثراء كبيراً ، (ومنْ يُؤتَ الحكمةَ فقدْ أوتى خيراً كثيراً)

أجل فى الحكمة ثراء ، يفتقر إليه الأثرياء ، ونور لا تغنى عنه سعة البصرين ، ولا أشعة القمرين . ثراء يملأ الجنان ، بالرضا والإيمان ، ونور تتضاءل عنده الأنوار ، وتنكشف أمامه الأسرار ، فقلب الحكيم غنى بما فيه ، عاص بما يحويه ، وعينه نافذة وإن لم تكن نجلاء ، وحسبك أبو العلاء !

والحكيم إن فكر ارتقى ، وإن عبر انتقى . فالحكمة بنت الفكرة العالية ، فى العبارة الغالية ، بل هى من الأدب غايته ، ومن البيان آيته . وكثيراً ما تمتُّ إلى الشعر بلحمة ، (وإن من الشعر لحكمة) إلا أنها ليست حكما الطبع جائز ، ولا وحياً لشعور ثائر . بل تجيء عند هدوء النفس ، واعتدال الحس ، بعيدة عن عسف الغلواء ، بريئة من سرف الأهواء .

الأدب والفن في أسبوع

الثقافة والمثقفون :

هذا هو عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور محمود عزمي بك يوم الثلاثاء الماضي في الاتحاد الثقافي المصري .

تتبع المحاضر مدلول الثقافة في العصور المختلفة حتى العصر الحديث ، وانتهى من ذلك إلى تعريف « الثقافة » بأنها الجانب العقلي للحياة الاجتماعية ، ولأنها تشمل المعارف ذات الأثر العملي النافع في الحياة ، فهي شاملة بمعنى أن المثقف هو الذي يأخذ من كل فن بطرف ، وهي ذات صبغة حيوية لارتباط المعلومات بالحياة العملية الواقعة .

ولذلك لا يعد الباحث المختص في أي فرع من فروع العلم ، أو فن من الفنون ، مثقفاً ، ما لم يلم ببقية العلوم والفنون إلماماً نافعاً . وأشار المحاضر إلى ما توصف به الثقافة من نحو « الثقافة الفرنسية » أو « الثقافة المادية » قائلا إن معنى الشمول الذي تدل عليه « الثقافة » لا يتفق مع هذا التخصيص .

وقال إن الكلمة التي كانت تدل على ذلك المعنى الشامل لألوان المعرفة في العصور العربية المتوسطة ، هي كلمة « أدب » فقد كانت تطلق على الشعر والنثر والتاريخ والفقه والتفسير والحديث والفلسفة والمنطق وغير ذلك . ولكن في العصر الحديث أخذت كلمة « أدب » المعنى الفني المعروف . وهنا قص المحاضر قصة طريفة تدور حول البحث عن كلمة عربية تقابل كلمة « كلتير » الإفرنجية حتى اهتدى إلى « الثقافة » فأطلقت على هذا المعنى . قال : كنا طلبة في باريس من مختلف البلاد العربية في وقت ثار فيه هنالك جدل حول معنى الثقافة ، فألفنا جمعية أسميناها « جمعية التهذيبات العربية » ولما عدت إلى مصر واشتغلت بالتدريس ، كنت أحتاج إلى كثير من الأسماء العربية للمدلولات الحديثة ، ودلني بعض الناس إلى كتاب « المخصص » لابن سيده ، فاستفدت كثيراً منه ، وقيل لي إنه مما ينفع في هذا المجال مؤلفات خريجي دار العلوم الذين تعلموا في بعثات بأوربا ، وقرأت هذه المؤلفات ووجدت فيها كثيراً مما أطلب ، ومرة وقعت على كتاب لأحدهم وهو الأستاذ حسن توفيق العدل ، اسمه « سياسة الفحول في تثقيف العقول » فأمسكت بكلمة « تثقيف » وراجعت بعض المعاجم حتى وجدت في « أساس البلاغة » كلمة « الثقافة » بمعنى طلب العلوم والمعارف ، ثم كتبت مقالا بجريدة السياسة عنوانه « الثقافة البيضاء المتوسطة » فعقب عليه الدكتور طه حسين في فصل من فصوله التي كان يكتبها بعنوان « حديث الأربعاء » واستحسن كلمة « الثقافة » ولكن لم يعجبه وصفها بالبيضاء المتوسطة .. ذاهباً إلى أن الإضافة أحسن فيقال « ثقافة البحر الأبيض المتوسط » بدلا من ذلك العنوان .. وبعد ذلك سارت الكلمة حتى الآن . وقال المحاضر إنه رجع إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وسأل عن مكان كلمة « الثقافة » في أعماله ، فقيل له إن المجمع لم يتعرض لها بشيء إلى الآن ، سوى ما تضمنته الأصول المعدة للمعجم الوسيط من أن « الثقافة » هي الإلمام بالمعارف المختلفة إلماماً حسناً .

تصوير الكاتب لغير بيئته :

نشط الأستاذ محمود تيمور بك أخيراً في الكتابة عن القضايا والمذاهب الأدبية ، ومن ذلك ما نشرته له مجلة « الاستديو » في عددها الأخير بعنوان « هل يحيا القصاص حياة أبطاله ؟ » وقد تعرض في هذا المقال لاتصال الفنان ببيئته وغير بيئته وأثر ذلك في فنه ، وقال « ولبعض النقاد عذرهم فيما يرتأون من أن القاص يجب أن يكون قد مارس حياة الصعلكة مثلا ليجيد التصوير لشخصية الصعلوك ، وأن يكون قد عاش عيشة الفلاح ليتحدث عن نفسية الفلاح » ثم قال : « على أن هذه الفكرة في وجاهتها وأصالتها ، وفي صدق أمثلتها ، ليست كل الرأي في هذا الصدد ؛ ولا يمكن أن تكون هي الحتم اللزام الذي لا سبيل غيره إلى تجويد وإتقان ؛ فقد يكفي أن يخالط الفنان طبقة من الناس ، ولوناً من الحياة ، نوعاً من المخالطة قل أو كثر ، فسرعان ما يتأثر بهذه الطبقة وذلك اللون ، وسرعان ما يجد في هذا التأثر مدرجة لإجادة الوصف والتعبير ، تسعفه الفطنة ، وتمده البصيرة ،

ويحلق به الخيال فى الآفاق والأعماق » .

وقال أيضـاً : « ومن الطريف أن فى صميم الميدان الأدبى أمثلة تثبت عكس ما يراه النقاد من أن ابن البيئة أولى من يجيد تصويرها ، فقد يكون الفنان نزاعاً إلى نوع من الحياة غير الذى يحياه ، طلاعاً إلى جديد من العيش ، وإن كان أدنى من عيشه ، وأحفل بالمشقة والـكبد ؛ فيبعثه الحرمان والنزوع إلى تمثل تلك الحياة المنشودة والاستمتاع بها فى عالم الخيال ، ومن ثم يستبين تعبيره قوياً حياً يصور بيئة غير بيئته ، وطبقة غير طبقته ، وحياة غير حياته » .

ولك أن تلاحظ أن ذلك ينطبق على الأستاذ تيمور نفسه ، لما يشيع فى قصصه من تصوير ألوان من الناس بعيدة عن حياته فى طبقته ، فهو إذ يفصل القول فى هذه القضية ، إنما يصدر عن إحساس وتجربة . على أنى أضيف إلى ما بينه ، أن الفنان الذى يطرأ على بيئة جديدة يسترعى انتباهه فيها ما يراه الفنان المقيم بها أمراً عادياً لا يستحق الالتفات ، لطول الألفة والمباشرة

مثال :

ثم أريد من تلك الفقرات التى نقلتها من كتابة تيمور أن تكون مثالا لتعليق « الرسالة » على ما كتبه الدكتور الأهوانى بالعدد الماضى عن أسلوب تيمور ، ولعله يرى أن هذه الـكتابة أقرب إلى « ترسل الجاحظ » منها إلى كثير مما يكتبه بعض الـكتاب فى هذه الأيام ... وهى كتابة تيمور التى عدّ الدكتور من مزاياها أن تبعدنا عن ترسل الجاحظ ! ..

معرض الكتاب للطفل والناشىء :

أقامت وزارة المعارف بدار خدمة الشباب (٧ - شارع سليمان باشا) « معرض الـكتاب للطفل والناشىء » وهو يضم مجموعات من الـكتب العربية والإنجليزية والفرنسية والأمريكية الخاصة برياض الأطفال والمـدارس الابتدائية والثانوية ، وقد شاهدت بينها مجموعـة لا بأس بها من الـكتب الأدبية العامة (غير المدرسـية) وقد ضمها المعرض لأنها مقررة للقراءة الأدبية فى مكتبات المدارس الثانوية ؛ والمعرض بطبيعة الحال لا يضم كل الـكتب المؤلفة للطفل والناشىء ، وإنمـا يحتوى على كثير منها ، ولا سيما الـكتب غير العربية ، والمعروض منها هو المستعمل بمصر فى المـدارس المصرية أو الأجنبية ، ومع هذا فإن القسم العربى أقل من كل قسم من الأقسـام الأخرى ، ولم يعجبنى أن تأخذ هذه الأقسام صدارة المـكان ، فقد كان يجب أن يقـدم القسم العربى مهما كان حظه من الـكمية والمادة والمظهر .

والغرض من هذا المعرض أن يقف الزائرون من رجال التعليم والمؤلفين والناشرين والآباء والأمهات - على مـدى ما وصلت إليه كتب الأطفال والناشئين . وقد رأيت المعرض زاخراً بعدد كبير من السيدات « الأجنبيات » يتأملن ويتصفحن باحثات عن الغذاء العقلى لأولادهن ، وأرسلت البصر فى جوانب المكان فلم تقع عينى على امرأة مصرية . . وليس ذلك لاحتجابها ، فقد رفع الحجاب ؛ ولا لاحتشامها ، فهى فى السينما ...

الطبيعة بين الشعر والعلم :

ألقى الدكتور محمد حسين هيـكل باشا يوم الجمعة المـاضى محاضرة بنادى رابطة خريجى معاهد فرنسا وبلجيكا وسويسرا ، كان موضوعها « الطبيعة بين الشعر والعلم » استهلها ببيان أنه سيتحدث حديثاً قوامه رواية مشاهد وليس القصد منه التفـكير فى نظريات أو مذاهب وآراء . ثم بدأ بالحديث عن « مساقط النياجرا » التى تقع بين أمريكا وكندا ، فقال إنها من عجائب الدنيا السبع ، ومناظرها بما يحيط بها من حدائق من أجمل مناظر الدنيا ، ومن عجيب أمرها أن المقبـل عليها لا يبهره أول ما تقع عليه عينه من مشاهدها ، ولـكن كلما أنعم الناظر فى مفاتنها أحاط بها وتجلت له عظمة الطبيعة على نحو يعجز عن وصفه أبلغ الـكتاب وأقدر الشعراء . وحول هذه المساقط جنات فسيحة متدرجة فى الارتفاع بحيث يرى الإنسـان المساقط من أى مكان فيها . ومما زيدها جمالاً بالليل ما يسلط عليها من الأشعة الكهربية الملونة ؛ وكل ذلك قد جعل منها بحق « جنة شهر العسل » وهنا ساق هيـكل باشا دعابة قال فيها إنه عندما زار هذه المساقط لم يكن مثل الـكثيرين الذين يقضون فيها شهر العسل ، لأن الذى كان يرافقه إنما هو الأسـتاذ جورج حبيب سكرتير فى مجلس الشيوخ .. ولذلك لم يكن تأثيرها الشعرى فيه بالغاً ، وإنما راعه كثـيراً ، عناية أهل تلك الجهات باستخدام العـلم فى تجميلها

والانتفاع بها ، فأنشأوا مهابط كهربية (عكس المصاعد) تهبط إلى عمق ثمانين متراً فى الأرض ، فإذا نزل النازل لبس ثياباً من الجلد لأنه يكون قريباً من مستوى رشاش الماء ، فيستمتع بمنظر لا مثيل له ؛ وبالقرب من المساقط محطة كهربية قوتها حوالى ١٧٥ حصاناً كلها مستمدة من مياه المساقط التى تنحدر إليها فى جوف الأرض . ثم قال : هناك يشعر الإنسان بقوة الطبيعة وعظمة العلم . قلت فى نفسى وقد شهدت المساقط والمحطــــة الكهربية : أيهما أبدع وأروع سحر الطبيعة أو عقل الإنسان ، الطبيعة كما هى أو بعد تهذيب الإنسان لها وتسلطه عليها ؟ أعتقد أن علم الإنسان حين يختلط بالطبيعة وحين يندمج فيها ، هو بعض هذه الطبيعة ، كالصخور التى تتغير أوضاعها بفعل الطبيعة ، فالإنسان قوة من قوى الطبيعة .

ثم انتقل هيكل باشا إلى « الريفيرا » فتحدث عن جمالها واقتران العلم بالشعر هناك أيضاً ، وقال إن زرقة البحر الأبيض المتوسط جميلة فى الإسكندرية ومرسى مطروح ، وفى غيرهما ، ولكنها لا تبدو رائعة أخاذة كما تبدو على ساحل « الريفيرا » الممتد من مرسيليا إلى جنوة . ثم قال : منذ ثمانى عشرة سنة زرت الأقصر ، وركبت الباخرة منها إلى أسوان ثم من أسوان إلى القاهرة ، وكنت فى خلال الرحلة أشعر بالرضى والطمأنينة لجمال النيل وزرقة مائه ولما كنت أستشعره من الآثار المصرية القديمة القائمة على شواطئه ، ولكن هل استطعنا أن نخلق على شط النيل « جنة لشهر العسل ؟ » ونحن نخطر فوق مياهه فهل ارتقينا « بالإنسان » المقيم فى واديه إلى مرتبة الإنسان ؟ لا أزال أذكر منظراً رأيته مكرراً فى تلك الرحلة ، الفلاح يزرع قطعة من الأرض يقتات منها هو وعياله ، ينقل الماء إليها من النيل بوساطة رجل عند المجرى يرفع الماء إلى ثان ، والثانى يرفعه إلى ثالث ، والرابع يوزعه على الزرع . ولا شك أن الحال لم تتغير إلى الآن ، وقد بلغنا عن طريق العلم مابلغنا فى معرفة طرق رفع المياه ، ولكن لم نستخدمه فى راحة هؤلاء الناس .. أليس مما يجرح القلب أن نهمل هؤلاء الناس وندعهم يشقون ؟ أليس واجباً أن نعمل وأن ننشر آراءنا فى الناس ؟ أقول هذا وأنا أعترف أنى من المسئولين عن التقصير فى هذا المجال ...

من طرف المجالس :

اعتدت أن ألقى بعض الأصدقاء يوماً من الأسبوع بمشرب فى القاهرة ، وكثيراً ما أجد هناك من لا أرتاح إلى مجلسه ، فأعتبر ذلك ضريبة للقاء الأصدقاء !

وذات يوم أقبل علينا صديق من غيبة طويلة ، ففرحنا به وشاعت البهجة فى نفوسنا لقدومه . وبينما نحن نمرح ونمزح إذا « ضريبة تصاعدية » تفرض علينا فى شخص صاحب يأبى إلا أن يكون شاعراً ، قد أعد قصيدة طويلة من الشعر « الوسط » فنغص علينا بإلقائها على أسماعنا ... والبلوى بهذا الصاحب أنه لا عيب فيه إلا شعره الذى يحرص على ألا تفوتنا بدائعه ! فلو أنه ممن لا تقتضى صحبته المودة لسهل التخلص من الإنصات لإنشاده ..

أفضيت بأمر هذا الشاعر إلى الأستاذ كامل كيلانى ، فابتسم ثم قال : ألا تعرف أنى قلت فى مثله أبياتاً منها :

فزكاة صحبته سماع قصيدة   أبياتهـــا قد زلزلت زلزالا
فإذا أبيت فقد عققت صداقة   وإذا رضيت فقد حملت جبالا

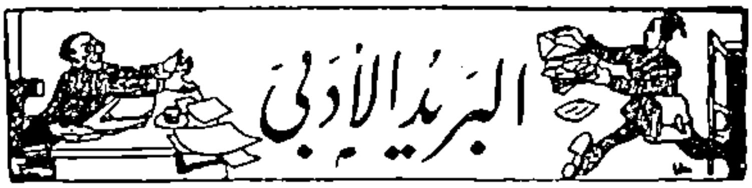
أوربا فقط :

دعت رابطة « مصر — أوربا » إلى حفلة ساهرة يوم الخميس الماضى بالنادى اليونانى الذى تتخذه مقراً مؤقتاً لها ، أو هكذا تقول .. فقد كان كل ما فى الحفلة التى دعت إليها « رابطة مصر — أوربا » أوربيا ، كان هناك موسيقى أوربية وغناء أوربى . أما مصر ، وهى الشطر الأول من اسم الرابطة ، فلم يكن يدل عليها هناك إلا طربوش رئيس الرابطة المصرى . وكانت الرابطة قد دعت قبل هذه الحفلة بنحو أسبوع إلى سماع محاضرة لأحد الأجانب باللغة الفرنسية ، ولم تدع مرة إلى محاضرة عربية ، فلماذا لم يسموها « رابطة أوربا » من غير إقحام مصر المسكينة .. ؟

هل رابطة « مصر — أوربا » اتحاد مصرى انجليزى آخر .. ؟

التأليف المسرحى :

عانت الفرقة المصرية فى العام المنصرم أزمة فى التأليف المسرحى فلم تقدم فى هذا الموسم من الروايات المؤلفة الجديدة سوى رواية



فلسطين والأدب :

قرأت ما كتبه « فتى الفيحاء » فى العدد السابق من (الرسالة) فاهتز كيانى وكادت تذهب نفسى حسرات لما قارنت بين موقف أدبائنا وشعرائنا من أبناء وطنهم وأشقائهم ، وموقف بيرون الشاعر الانجليزى من يونان .

فبيرون لم تكن تربطه باليونان لغة أو وطن أو جنس ، ومع ذلك أبت عليه نفسه أن يرى طلاب الحرية وخطاب المجد يكافحون الغاصب ويدفعون المحتل ولا يكون لهم من نصرته نصيب ، فهجر راحته ووقف نفسه على اليونان ليكون له فى إعانة الضعفاء قسط وفى بناء الحرية مقام .

فصرخت من أعماق نفسى وا خجلتاه ! أعقمت الأمة العربية فلم تلد بيرونا واحدا ؟

ولكن سرعان ما تبدل الخوف أمنا حين رأيت (الرسالة) تفتتح معركة فلسطين الأدبية فأرسلها صاحبها[1] مدوية مجلجلة تنعى على ساسة أوربا وقادة أمريكا لصوصيتهم الكافرة وصليبيتهم المتطرفة ، وتأليبهم الجائر على العرب ابتغاء مرضاة يهوذا ومصانعة لأبناء صهيون . ثم ثنى على ذلك[2] فصور نفسية اليهودى وقد اقتربت الفريسة منه بعد أن أحكم لها الشباك ، ثم بدا له فارتد عنها مذعوراً ، فلم يغره فى هذه المدة وهج الذهب الذى عبده منذ خلق ، ولم تأسره السيادة التى مازجت نفسه وانحدرت إلى عروقه من أسلافه ، لأن ذلك قد يعوق سير الصهيونية ويضر مصلحة إسرائيل . ثم ثلث[3] فأنذر بقيام ساعة العرب قريبا وكيف لا تكون قريبة وقد استنوق الجمل واستجملت الناقة ، فحمل اليهود السلاح وشهدوا الحرب وأحرزوا النصر واحتلوا المدن ؟

ثم انتظرنا بعد ذلك أن يستجيب أدباؤنا الكبار لنداء المروءة والأخوة فتتوارد على (الرسالة) مقالاتهم وقصائدهم لتسجل فى ديوان العرب المشترك محنة فلسطين ، فتشجع الخائف وتطمئن الحائر وتضيف عزيمة إلى عزائم المجاهدين . انتظرنا أن يحرك سقوط حيفا ومذابح دير ياسين وتشريد أبناء فلسطين مواطن العطف من نفوس شعرائنا فيبرز رثاء لمن استشهد ، ومواساة لمن شرد ، وناراً تلظى على نفاية البشر وشذاذ الآفاق !

ولكن انتظارنا ذهب عبثا !

وبعد فأنا لنرجو من أدبائنا أن يصححوا موقفهم من فلسطين وأن ينظروا من أبراجهم العاجية بمنظار يكبر لهم الآلام الشديدة والمحن القاسية ليروها ، فينصروا أهلها بألسنتهم وأقلامهم ويضموا إلى مجدهم الأدبى شرف الجهاد فى سبيل حماية المسجد الأقصى وعروبة فلسطين .

(شيرا) **أحمد الجنارى**
عضو البعثة السورية

(١) الرسالة عدد ٧٥٤ .
(٢) العدد ٧٥٦ .
(٣) العدد ٨٧٤ .

واحدة هى « الناصر » لعزيز أباظة باشا ، وباقى ما قدمته إما مترجم أو مقتبس أو مؤلف قديم . ولم يبد إلى الآن ما يدل على انفراج هذه الأزمة ، على رغم ما قيل من اعتماد مبالغ من المال لتشجيع التأليف المسرحى .

ومما يدل على ذلك أن لجنة ترقية التمثيل العربى ، لما أرادت أن تكمل هذا النقص فى وضع برنامج الفرقة فى الموسم القادم ، قالت إن الظروف الحاضرة لا تسعف الفرقة بالمسرحيات التى تؤدى رسالة الأدب المسرحى الرفيع على الوجه الأكمل ، وهى لذلك ترى ضرورة الاستعانة بالمسرحيات القديمة التى سبق أن أخرجتها الفرقة القومية وأحرزت النجاح . ومن هذه المسرحيات « مجنون ليلى وكليوبترا » لشوقى ، و « قيس ولبنى والعباسة والناصر » لعزيز أباظة ، و « حواء الخالدة » لمحمود تيمور ، وتقدم مع هذه الروايات مسرحيات مترجمة سبق إخراجها وتمثيلها أيضاً .

وقد انكشفت الضجة التى ثارت حول المسرح فى أواخر هذا العام ، عن انضمام يوسف وهبى إلى الفرقة المصرية ، أما تزويد الفرقة بمؤلفات مسرحية جديدة فلا تزال بإزائه علامتا أسف واستفهام ..

العباس

حول الفن الإنساني :

قلت فى العدد الماضى من الرسالة وأنا أتحدث عن الفن الإنسانى ، إن قصة « أدولف » للكاتب الفرنسى بنجامان كونستان تعد فى رأى النقاد أكثر القصص الذاتية بقاء على الزمن ، لأنها أكثرها إنسانية .. فهى أبقى من « آلام فرتر » لجوته و « رينيه » لشاتوبريان و « رفائيل » للامرتين ؛ وإن الفارق بينها وبين « أدولف » هو الفارق بين الفن التصويرى الذى يقف بك عند فترة من الزمن لا يتعداها ، وبين الفن الإنسانى الذى يتخطى حدود الزمان والمكان .

قلت هذا فعقبت الرسالة عليه بقولها : إن هذا رأى نسمعه لأول مرة ، فكان على الكاتب أن يذكر النص الذى اعتمد عليه ، والدليل الذى استند إليه

وردى على هذا التعقيب هو أنى كتبت فى مجال العرض والتحليل لا فى مجال التحقيق العلمى .. وإذا كانت الرسالة تريد النص والدليل ، فحسبى أن أنقل للقارئ رأيين فى « أدولف » يتفقان فى المعنى وما ذهبت إليه ، أحدهما للكاتب الفرنسى الكبير بول بورجيه ، والآخر للناقد الفرنسى فردينان برونتيير . يقول بورجيه : « إن أدولف لتعد مثلا أعلى للقصة الذاتية ، ولقد بقيت من كل القصص التى ظهرت فى القرن التاسع عشر أحفلها بالحياة ، وأكثرها إنسانية ، وأشدها أسراً للشعور ، ولا توجد قصة أخرى تهزنى كما هزتنى هذه القصة » . ويقول برونتيير : « إن أدولف قصة إنسانية لا يمكن أن ترقى إلى حقيقتها التحليلية قصة أخرى » . ويلاحظ أن الرأى الأول قد شمل فى مجال التفضيل قرناً كاملا هو القرن التاسع عشر ، وفى هذا القرن ظهرت آلام فرتر ورينيه ورفائيل .

وإذا كانت الرسالة تريد دليلا فحسبى أن أقول إن كلا من القصص الأربع تصور حياة مؤلفها ممثلة فى عواطفه الإنسانية وتجاربه النفسية .. وهنا يقف الناقد ليلمس ظاهرة فريدة تحدد القيم الذاتية للأثر الفنى ، هى أن « أدولف » تصور العواطف الإنسانية عند كونستان وغير كونستان ، من أصحاب الشعور والوجدان .. وأن آلام فرتر ورينيه ورفائيل لا تصور هذه العواطف إلا عند جوته وشاتوبريان ولامرتين !

هذا حكم يصدره النقد إذا ما أقام الدراسة الفنية على أسس وطيدة من الفهم النفسى ، ولا عجب بعد ذلك إذا ما قررت أن أن الفارق بين « أدولف » وبين القصص الثلاث هو ما ذكرت ولعلى أكون قد قدمت النص والدليل ...

أنور المعداوى

(الرسالة) : لا ، يا أستاذ أنور ! إن شرط النقل الصحة ، والصحة لا تتحقق فى النص إلا إذا نقل بلفظه من كتاب معلوم ، وصفحة مرقمة ، وطبعة معينة . أما دليلك فلا ينهض إلا إذا أثبت بالطريق العلمى أن الإنسانية فى جوته وشاتوبريان ولامرتين من نوع خاص فتعبيرهم عنها لا يعم ، وأنها فى كونستان وحده من نوع عام فتعبيره عنها لا يخص . ويبقى أن نقول إذا سلمنا لك صحة النقل أن هذين الناقدين الفرنسيين قد حكما لأدولف هذا الحكم بالنسبة للأدب الأوربى لا بالنسبة للأدب الفرنسى حتى يجوز أن يدخل (فرتر) فى هذا الحكم

شرح وإيضاح :

أراد الأستاذ الفاضل السيد على زين العابدين منصور فى العدد ٧٧٣ من مجلة الرسالة الغراء ، أن نوضح له كيف جوزنا لفظة « نداماء » الواردة فى قصيدتنا « قلب شاعر » المنشورة فى العدد ٧٧١ من الرسالة الغراء :

حتامَ أظمأُ والأقداحُ دائرةٌ   مثل الكواكب ما بين النداماء

مع أنه بحث فى قاموس « الفيروزابادى » فى مادة « ندم » فلم يجد لها جمعاً سوى ، ندماء ، وندام ، وندامى . ونود أن نقول للأستاذ منصور أن مد المقصور وقصر الممدود ضرورة من الضرورات التى أجازها علماء العروض ، ولما كانت اللفظة — ندامى — مقصورة فيكون مدها « نداماء » وكذلك لفظة « مولاى » مقصورة ، وعند مدها يقال « مولائى » وقد استعمل ذلك أبو نواس كثيراً فى شعره ، فقال من قصيدة منشورة فى ديوانه المطبوع بالمطبعة الحميدية المصرية عام ١٣٢٢ هـ ص — ٢٠٢ فى باب الخمريات :

إنى لأشرب من عينيه صافية   صرفاً وأشرب أخرى مع نداماتى

وهذا البيت من قصيدة له مطلعها :

يا رب مجلس فتيان سمرتُ له   والليلُ محتبس فى ثوب ظلماء

ولا نظن أن أبا نواس الشاعر ، وهو حجة فى اللغة ، يورد لفظة فى شعره دون أن يكون متأكداً من أن علماء اللغة أجازوها

أما قول الأستاذ منصور أن فعل « صبا » يتعدى بـ « إلى » لا بـ « اللام » فى قولنا « إن لم تكن روحه تصبو لعلياء » فهذا اعتراض ضعيف لأن « اللام » تقوم مقام « إلى » فى كثير من الأحايين . فنحن نقول : ذهب إليه وذهب له ،

(البقية على صفحة ٦٠٥)

فى الأدب الحديث (*)

تأليف الأستاذ عمر الدسوقى

الأستاذ عمر الدسوقى من أدبائنا المبرزين ، الواسعى الاطلاع ، الدائبين على البحث والتنقيب ، القادرين على التمحيص والتحقيق ، وهو ذو قلم بارع سيال ، وأسلوب قوى متين ، يشهد له بتمكنه من الآداب العربية والآداب الأجنبية على السواء .

أخرج لنا حديثاً كتابه « فى الأدب الحديث » وهو من الكتب الجليلة القيمة التى استوفت حظها من البحث والتحقيق ، ولقد قرأ مؤلفه الفاضل واستقصى كل ماله علاقة بالأدب الحديث حتى بلغت مراجعه أكثر من خمسة وثمانين مرجعاً بعضها عربى وبعضها أجنبى ، وبعد أن هضم هذه المراجع أخرجها لقراء العربية فى هذا الثوب القشيب ، المركز المعلومات ، الممحص الباحث ، فى أسلوب عربى مبين ، وعرض رائع جذاب .

استعرض المؤلف الفاضل الأدب الحديث من يوم أن بدأ يحبو إلى أن شب واكتهل وصار مارداً عملاقاً فى جيلنا الحاضر .

استعرض النهضة فى عصر محمد على . شارحاً السبل التى سلكها للنهوض بالشعب المصرى ، ورفعه إلى مستوى الأمم الناهضة ، مبينا أن الاتجاه فى عصر محمد على كان علمياً بحتاً لحاجة النهضة إلى العلوم ، وأن الآداب لم يكن لها إلا نصيب ضئيل ، ثم انتقل إلى عصر اسماعيل فتكلم عن النهضة فى عصره ، وعن الجمعيات العلمية التى قامت ، والمدارس الأدبية التى نشأت ، مترجما لأصحاب هذه المدارس ، وواقفاً عند البارودى باعث الشعر الحديث وقفة طويلة ، خرج منها مبيناً إلى أى حد حاكى البارودى القدماء وقلدهم ، وإلى أى حد جدد واخترع . وعرج منها على النهضة فى بلاد الشام مبيناً أثر الإرساليات التبشيرية فيها ، وانتقل من ذلك إلى النهضة الجديدة فى الأدب العربى التى اتخذت لها لوناً خاصاً ، والتى ظهر فجرها فى أخريات إسماعيل وعهد توفيق حينما منيت مصر بالاحتلال الأجنبى وازدياد نفوذ الأجانب وما كان من تنبه المصريين إلى الخطر الداهم ، ومصادفة ذلك وجود السيد جمال الدين الأفغانى الذى ألهب النفوس وحرك العزائم وأيقظ الهمم ، وما كان من جراء ذلك من ظهور الأدب القوى .

ثم انتقل إلى الكلام عن الاحتلال الانجليزى وفرض اللغة الانجليزية على تلاميذ المدارس المصرية ، وما كان من أثر ذلك من اتصال الأدب العربى والفكر العربى اتصالا مباشراً بالفكر الغربى ، وما كان من أثر هذا من اتجاه الأدب العربى إلى المسلك الذى سلكه حتى يومنا هذا .

ولقد بين إلى أى حد أثر الأدب الغربى فى الفكر العربى وفى ألوان الأدب واتجاهاته وأساليبه نثراً وشعراً ، دارساً بعض الألوان الجديدة التى قدمت للقارىء فى أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

وبعد أن بين ما للترجمة فى النهضة الأدبية الحديثة واتصال بالفكر الأوروبى بين ما للمستشرقين من جهد فى سبيل اللغة العربية وآدابها وبحث العقيدة الإسلامية ومذاهبها ، ونشر ما عفت عليه الدهور وأغفلته يد النسيان من كنوز اللغة العربية معرفاً بأشهر المستشرقين المحدثين ومنتهياً من ذلك كله إلى الكلام عن القصة والمقالة ، وهما الثوبان الجديدان اللذان ظهر فيهما النثر الحديث .

ولقد دعاه كلامه عن القصة إلى أن يتعرض بالتخطئة إلى ما قاله المستشرقون ومن حذا حذوهم كالأستاذ أحمد أمين بك ، من عقم الخيال العربى لخلو الأدب العربى من القصة ، على أننا نخالف الأستاذ عمر الدسوقى فى ذلك ونؤيد الأستاذ أحمد أمين بك ، وسنفرد هذا ببحث خاص ليس هذا مقامه .

والحق أن هذا الكتاب فى رأينا من أحسن المؤلفات فى دراسة هذا العصر الحديث ، ولقد وفق فيه مؤلفه توفيقاً كبيراً يستحق عليه كل شكر وإعجاب .

(كرمة ابن هانىء) كمال بسيونى

(*) أخرجته حديثاً مطبعة الرسالة

تربية سلامه موسى

تأليف الأستاذ سلامه موسى

ما قرأت في اللغة العربية سيرة كتبها صاحبها عن نفسه تخالفه فيها توفيق كالتوفيق الذي أصابه الأستاذ سلامه موسى لما سجل أخيراً سيرته وأصدرها في كتاب عنوانه « تربية سلامه موسى » . فهو كتاب أصيل فريد يمتاز بالصدق والإخلاص، ويبسط آراء الكاتب وانفعالاته وما استثاره من أحداث، وما استفزه على التفكير، ويرد لأساتذته المفكرين ديناً، ويرشد أبناء الجيل الجديد إلى وسائل الكفاح الذهني وطرق التجاوب بين الإنسان والمجتمع الذي يحيط به .

والأستاذ سلامه موسى إنسان، بشرى، يؤمن بالإنسانية وبالبشرية، ويرى أن العالم « قرية » لجميع قطانه، وأن الفضيلة موجودة في كل مكان حتى عند الزنجي الجلف الذي جافته الحضارة وطمست الجهالة مسام ذهنه . وهو ما فتئ يعطف على كل كائن: على الفراشة، وعلى الدابة؛ وما برح يؤكد كل حركة إصلاحية مستقبلية، سواء كانت هذه الحركة من جانب المرأة للتحرر من قيود الرجعية الآسرة، أو من جانب المستذلين من الشعوب، أو من جانب الراسفين في أغلال الجهل الواقعين فرائس للمرض والفقر . والأستاذ سلامة صريح صراحة غير مألوفة في مصر وفي الشرق، حتى إنه ليقول عن نفسه « أخطأت حين اعتنقت المذهب النباتي» و « كتبت مقالا عربدت فيه وفسقت» ويقول «وقعت في فجر شبابي في عربدة جنسية ذاتية» ويقول «تقاضيت جنيهين في شهر مرتباً من وزارة الشئون الاجتماعية » ، ويوغل في اعترافاته إيغالا لا ضابط له إلا الحقيقة .

وقد يسأل القارئ : وما دخل « حياة » سلامه موسى في « تربيته » ؟

والواقع أن الأستاذ سلامه ما سرد سيرته إلا ليوطئ بها لبسط فلسفته في التربية والتهذيب الذاتي . فهو يتحدث عن نشأته والبيئة التي أنبتته والمشكلات التي اعترضته ليبين كيف تسنى له أن يستجيب لهذه العوامل وكيف تحقق له أن يتلمس أسباب الملاج فكان يصيب أحياناً ويخطئ أحياناً شأن كل راغب في الاستطلاع، تواق إلى تحصيل معارف كونية موسوعية .

وناحية ذات شأن تعرض لها الكاتب في كتابه هي الحديث عن تاريخ الكفاح المصري في سبيل الاستقلال، والجهاد لنفض غبار الاستهتار عن أديم الوادي، وتصوره لهذه الأحداث تصوير انفعالي قوي . ألا ترى كيف بكى يوم قال له فرنسي وقح «الانجليز أسيادكم» وعاد إلى فندقه يتبرز دماً ومخاطاً . ألا ترى كيف أن حادث دنشواي الفاجع جعله في حالة غثيان وذهول لا يستطيع الطعام أياماً . أو لا ترى أن الشيء الوحيد الذي أعرب الأستاذ سلامه عن أسفه عليه في كتابه هذا هو أن الرقابة قيدت حرية كتابته خمسة عشر عاماً في الحربين العالميتين الأولى والثانية . لم يأسف على فقد أمه ولا على فقد شقيقاته ولا على السجن الذي زج به فيه قدر أسفه على تكبيل حرية قلمه في هذه الفترة الطويلة .

والأستاذ سلامه يعيش للمستقبل لا للماضي فيقول إن الطاقة الذرية أنشأت عنده مركب نقص ما فتئ يعانيه منذ ما انفجرت قنبلة نيومكسيكو ثم قنبلة هيروشيما . ويقول إنه في السنوات العشر القادمة — إذا جاز له أن يرجو مد عمره فيها — سيدرس الذرة درساً مستفيضاً ولو اقتضاه ذلك استئجار مدرس خاص لأن خطورتها أكبر من أن يهملها رجل مثقف . وأمنيته في هذه السنوات التي لما تجيء هي أن يزور أوربا ويطوف في أرجائها، ولكنه يخشى إن فعل أن تعمد السلطات المصرية إلى تجريده من جنسيته كما فعلت من قبل بالأستاذ محمود حسني العرابي حين انتهزت فرصة سفره إلى ألمانيا وجردته من جنسيته لا لسبب إلا لدعوته التحررية الفكرية . وهو يريد أن يختم حياته في الريف المصري لأنه يرى فيه جمالا لا يراه في المدن، يريد أن يصادق الخراف والحمير والبقر والشجر، يريد أن يتحدث إلى النجوم ويحيي الشمس في الصباح ويضحك مع الماء يجري بين النبات ويأكل الخس والفجل على حرف القناة .

وبعد، فهذا كتاب تلونه مرتين وأرجو أن أتلوه مرتين أخريين على القليل فقد شغل تفكيري ونشط حواسي وأنهض

الفعل الارادى

تأليف الدكتور أبو مدين الشافعى

فى مصر اليوم حركة ظاهرة ونشاط ملموس من جانب المهتمين بالدراسات النفسية .

وللدراسة علم النفس مكانتها فى العصر الحديث ولقد فطنا فى مصر أخيراً إلى هذا ، فصار عندنا علماء أفاضل يعملون على نشر علم النفس ودراسته بالأساليب الحديثة والوسائل العلمية .

والكتاب الذى أعرض له الآن ، هو للدكتور أبو مدين الشافعى مدرس علم النفس بكلية الآداب ، وهو نتيجة دراسات طويلة وتجارب كثيرة وعمل متصل فى هذا الباب . ولذا استوفى الكتاب جانب العرض النظرى للافكار المتعلقة بالإرادة والأعمال الإنسانية وفكرة الجبر والاختيار ، كما أنه شمل كثيراً من التجارب الدقيقة التى استفاد الدكتور من إجرائها إيمانه الشخصى بالعمل الذى يؤديه والنتائج التى يقول بها غير معتمد فى هذا على الأعمال التى انتهى بها مؤلفو الغرب وعلماؤه إلا من ناحية التوجيه والأسلوب فحسب . ولذلك كثيراً ما تراه يخالف الرأى الذى يذهبون إليه ويجمعون عليه خصوصاً وأنه فى دراسته إنما يهتم بالشخصية المصرية التى لهـا من الظروف والأحوال ما يختلف اختلافاً كبيراً عن سواها .

والذى يدلك على أن الدكتور يقدم إليك مادة استوفى بحثها واستكمل أداتها هو أنه قد تخصص فى هذا الوضوع بالذات . فله كتاب سـابق هو كتاب الانتباه الإرادى وكتاب آخر باسم التعب . فدراسته ليست مرتجلة ، بل هى نتيجة تخصص وعناية طويلة بالوضوع . وهـذا يظهر لك من قوله : « يمكن عد الانتباه الإرادى أهم ركن للفعل الإرادى ، إذاً فدراسة الانتباه هى المقدمة الضرورية لدراسة هذا الفعل . وعملية العزم تبدأ فى مرحلة الانتباه أو الاختباء وتنتهى بالتنفيذ »

فهو إذاً قد نظم عمله بحيث بدأ بدراسة الانتباه ليخلص فى النهاية إلى دراسة الفعل الإرادى نفسه . وهو لا يدرسه نظريا على الطريقة القديمة ، وإنما يعمد إلى التجارب فيستمد منها الدليل على الخطوات التى يخطوها فى هذا السبيل . ولذلك كان عمله متصلاً بجسم الإنسان ونفسه معا بحسبانهما وحدة لا يمكن أن يدرس منها جانب على انفراد . « وليمكن الوقوف على هـذه المرحلة من الفعل الإرادى لابد من إلقاء نظرة على أسسه البيولوجية لنوضح الفروق بين أنواع الفعل بوجه عام ، ولنصل إلى مميزات الفعل الإرادى ، وما هو دور الكف والتركيز فى عملية التنفيذ» وهو لا يعنى بالجسم وأوضاعه على هذا الوجه فحسب ، بل يؤمن أيضاً من ناحية أخرى بأنه لابد من بحث صلة الفعل الإرادى بالعوامل النفسية البحتة قبل التطور الذهنى والانفعال والضبط ، على أن يكون هذا البحث على نمط علمى بعـد أن طال النقاش حوله فى الميدان الفلسفى » .

فأساس نظرته إذاً هو التكامل . وهذا يتجلى بوضوح فى محاولة الربط بين العوامل النفسية فى الفعل الإرادى وبين الحديث عن الوسائل التى تحدد لنا حالات الجسم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يقول بوجود صلة بين النشاط الإرادى وما يسميه بالمجال الحيوى وهو المجال الذى يضمن للشخص توازناً عاماً يحقق به أغراضه الحيوية . وعنده أن المجال الحيوى يتوقف على مجالات أخرى مثل المجال الجسمى والمجال الاجتماعى والمجال الطبيعى والمجال الذهنى ، فالمجالات الثلاثة الأولى يشـمل كل منها المجال الذى يسبقه ، فالمجال الطبيعى يشمل المجال الاجتماعى ، ويشمل هذا بدوره

عزيمتى ولمرشدنى إلى آفاق كان حرياً أن لا أقف عليها . كتاب بدل عندى قيم الأشياء وجعلنى أستعير من الطفل رغبته الدائمة فى الاستطلاع وإلحاحه المستمر فى الاستفهام والسؤال .

وكأنى بالأستاذ سلامه موسى يريد أن يقول لقرائه : كونوا كونيين ... إنتحوا أذهانكم لكل جديد ... لا تعيشوا بعيداً عن الواقع ... انهلوا من موارد المعرفة غزراً ، ... قاوموا السلفية والتأخرية والجمود ... تعصبوا للبشرية عامة ... آمنوا فبغير الإيمان لا يكون للحياة معنى ... اطلبوا مزيداً من الحياة لتزدادوا ثقافة واتساع فكر .

وديع فلسطين

(المحرر بالمقطم — القاهرة)

الجمال الجسمى ، وأما الجمال الذهنى فإنه يربط بين هـذه المجالات كلها .

فهو إذن عالم يدرس مسـائل الاجتماع ومظاهر الطبيعة ، وحالة الإنسان ، ينتهى منها جميعاً إلى الرأى الذى يعمل به فى علاج الحالات المرضية المختلفة . وليس أدل على نزاهته العلمية من قوله : « ولم يكن بيير جانيه مخطئاً حين نسب إلى النشاط الحركى وإلى العمل المضلى قدراً من المجهود أكبر مما يبذله النشاط الذهنى ، وذلك لأن الأفعال الفكرية ، أفسح حرية من الأفعال الحركية الخارجية » . فهذا الرأى يخالف ما هو شـائع بين عامة الأدباء الذين يريدون أن ينسبوا إلى أنفسهم امتيازاً على العامة فى المجهود الذى يبذلونه والمشاق التى يتكبدونها ، والذين يقولون دائماً أن نشاط الذهن أثقل على النفس وأدعى للتعب من المجهود اليدوى .

والذى أعتقد أن الذى أفاد الدكتور كثيراً فى دراسته هو عنايته بالدراسة العملية من جهة واشتغاله بمعالجة الحالات المرضية من جهة أخرى . ولذلك كثرت فى كتابه الأمثلة التى يذكرها تأييداً لفكرته فى أنه إذا شئنا معالجة المرض النفسى فعلينا أولا وقبل كل شىء أن نغير من المجال الذى يعمل فيه الشخص المريض ، كما أنه من الواجب أن نوفر له الجو الذى يتلاءم مع طبيعة مرضه ؛ فالحالات المرضية الداخلة فى نطاق علم النفس تحتاج إلى معرفة طرق التغيير ولا تكتفى بالوقوف على الحالة الراهنة وعلى نوع المرض . ففكرة المجالات الحيوية من شأنها أن توجد لنا حلولا كثيرة لأمراض بقيت ألغازاً إلى يومنا هذا . وعلى هذا الأساس قال بصراحة الطبيب والعالم معاً : « فالعدد الكبير من المصابين بالأمراض العقلية فى العالم لا يمكنه أن يجد الشفاء بين جدران المستشفيات ، ويتطلب أغلبهم مجالا خاصاً يساعدهم على استرجاع توازنهم العقلى وضبطهم الإرادى . فمن العبث إذاً محاولة علاج المصاب بالشعور بالنقص عن طريق الوعظ أو الحقن ، فلا بد من أن نضعه فى المجال الذى يرجع له ثقته بنفسه ليقاوم حسب مقدرته الخاصة » .

والذى آخذه على الدكتور هو أنه كان يذكر أحياناً كثيرة بعض أسماء العلماء باللغات الأجنبية دون محاولة ترجمتها صوتياً فى ألفاظ عربية . وكذلك كان يغفل أحياناً عند ذكر الكتب وأسمائها . والأفضل أن يذكر الكتاب بلغته الأصلية وبالترجمة العربية لاسمه فى الوقت نفسه . ومن حيث المراجع التى أشار إليها فى أسفل الصفحات تعد دقيقة ومتقنة ، بيد أنه ينقصها الترجمة بل إن الترجمة العربية لها وحدها تكفى طالب علم النفس والقارئ العادى . وآخذ عليه أيضاً أنه مقل فى الكتب التى يظهرها مع حاجتنا الماسة إلى مجهود كبير فى هذا الباب من الدراسات النفسية . ونحن فى بدء نهضة علمية من هذا النوع يفيدها الاطلاع والقراءة أكثر مما يفيدها عمل الدكتور الخاص فى معمله أو فى عيادته . وحبذا لو قام مع بعض تلاميذه بترجمة بعض الكتب الهامة التى تعد من المراجع الأساسية فى علم النفس . وأما من جهة اللغة التى كتب بها الكتاب فعلى الرغم من سلامتها ومن امتيازها على كتاباته السابقة فإنها ينقصها عنصر المرونة والتوضيح . فكثيراً ما كان الدكتور يكتفى بالفكرة يذكرها عارية فى جملة أو جملتين دون أن يحاول تفنيتها وربطها بما يليها ربطاً جيداً . ومن هنا بدا الكتاب جملة من اللمحات والضربات الخاطفة ...

وهذا ، على كل حال ، لا ينقص من قدر الكتاب ، بل على العكس يدل على أن الكمال الإنسانى مستحيل . وللدكتور منا الإعجاب بعمله القيم النفيس .

عبد الفتاح الديدى



ليلة في القبر

للأستاذ نجاتي صدقي

مات الأديب بعد أن قضى عمراً حافلاً بالإنتاج الأدبي ، فقد ترك ثروة أدبية تقع في ثلاثة عشر كتاباً ، وهي تعالج مواضيع مختلفة من تاريخية ، وعلمية ، واقتصادية ، وروايات وقصص .

وفي منتصف الليلة الأولى من دخول الأديب القبر جاءه الملكان الكريمان منكر ونكير ، ويالها من ليلة !

فنبه ناكر الميت قائلا : إيه يا رجل قم ! . .

وقال له نكير : هيا انزع عنك هذا الرداء الأبيض لنرى ما يقم في طياته من صفحات سود ! ..

فذعر الأديب لهذه المفاجأة ونهض متثاقلا ، فرأى نفسه قبالة ملكين جبارين يحمل أحدهما هراوة حديدية ضخمة ، ويحمل الثاني تحت إبطه كتاباً كبيراً .

وقالا له : نحن الملكان اللذان أخبرك عنهما الشيخ أثناء إيداعك هذه الحفرة — فرجاؤنا ألا تنزعج من زيارتنا غير المنتظرة ، فنحن لم نأت إلا للقيام بواجباتنا المقدسة ، وإنا لنتمتع بسلطات لا حد لها ، فنطرق القبور دون استئذان ، ولا نميز بين غني أو فقير ، رجل أو امرأة ، فتى أو فتاة ، طفل أو طفلة ...

وسنشرع الآن في محاسبتك حساباً تمهيدياً ، وعليك أن تكون معنا صريحاً ، وتيقن بأننا لن نرحمك إن حاولت المداورة أو المراوغة .

وسأله منكر حامل الهراوة : ما اسمك ؟ . وما مهنتك ؟

فأجاب الميت — اسمي (....) ومهنتي الأدب ! ..

ففتح نكير الكتاب الكبير ، وقلب صفحاته قليلا إلى أن عثر على اسم المرحوم .. وانكب يطالع مع ناكر ما كتب عنه في عشر صفحات طوال ، ولما بلغا نهاية ترجمة حياته التفتا إليه والشرر يتطاير من أعينهما .

وقال له نكير : حياتك مليئة بالآثام ، وسنحاسبك الآن حساباً عسيراً ، قل لنا أأنت صاحب كتاب (النجاة في الصدق) وغيره من الكتب الكثيرة ؟ ..

الميت : نعم ..

نكير : أتعترف بأنك كنت تدس السم في هذا الكتاب وفي غيره ، وأنك كنت تنشر الإلحاد في الناس ، وتبث فيهم الإباحية ؟ ..

الميت : هذه تهم باطلة ، وإني لأحتج عليها بكل ما أوتيت من قوة .. إنك أيها الملك الكريم تردد ما قاله خصومي في . والواقع أنني كنت أنشر المعرفة في قرائي ، وأبث فيهم روح الحرية .. كنت أرفع الغشاوة عن أعينهم وأدلهم على طريق الهدى والصواب .

نكير : لقد بدأت تراوغ ؟ .. والتفت إلى منكر وقال له : اضرب !

وهوى منكر بالهراوة على ظهر المرحوم وقدميه بضربات شديدة جعلت سكان القبور المجاورة يرتعدون فرقاً من هول ما يجري في قبر جارهم الجديد ، وكان الأديب يصرخ وسط هذا العذاب ويقول : إن عملكما هذا غير شرعي .. وستظهر براءتي في يوم الحساب الأكبر .. ماذا تريدان مني ؟ .. إنني نشرت المحامد في قرائي ، وكشفت النقاب عن مساوئ الناس وشرورهم ، وبينت لهم أخطاءهم ونقائصهم .. ثم إنني إذا كنت قد وضعت مؤلفات وأنا على قيد الحياة مشبعة بشيء من الحرية والصراحة ، فثقا بأنني عوقبت عليها ، وسجنت ، واضطهدت ، وليس لديكما مبرر لمعاقبتي مرة أخرى !

فتوقف منكر عن الضرب ، وتابع نكير قوله للمرحوم الأديب : إسمع أيها المتهم .. نحن نضاعف العقاب على الكتاب المفكرين ونجعلهم في المرتبة الأولى بين المتهمين ويليهم الأشقياء واللصوص ! .. فالشقي عندنا ينتهي أمره بموته .. أما الكاتب

بجريته لا تنتهي بموته ، بل على النقيض من ذلك فإن مفعول سمومه يزداد جيلا بعد جيل .. وهذا عين ما فعلته كتاباتك وما ستفعله في المستقبل .

والتفت إلى منكر وقال له بحزم : اضرب ! .. اضربه بشدة على أصابعه التي كانت تقبض على القلم ! . .

وهوت المرارة على يدي المرحوم ، وكان يصرخ ويتلوى من شدة الألم ، ثم حاول المقاومة لكن رأسه ارتطم بحجر فانطرح مغشياً عليه ، فمسح ناكر وجهه بيده فأفاق ثانية وقال رجماً كا أيها الملكان الكريمان . إنني دعوت في كتاباتي إلى حرية الإنسان ، فقبحت جميع أنواع الظلم والطغيان ، ونبهت في قرائي حب الفنون ، وحدثتهم عن الحب ، والموسيقى ، والغناء ، كما حدثتهم عن لؤم النفس ومساوئها ، ومظاهر خستها وانحطاطها ؛ وقد فعلت ذلك متمتعاً بحرية القول التي خولتني إياها الهيأة الاجتماعية ، وكان رائدي دائماً الإصلاح ، والإصلاح لا غير .

فقاطعه نكير قائلا : قلت لك لا تحاول أن تضللنا ، إنك متهم بتفرقة الأبناء عن الآباء ، وبإيقاع الشقاق بين أسرة وأخرى ، وحي وآخر ، وجماعات وجماعات ، هذا والله وحده يعلم ما ستسفر عنه كتبك من شرور في الأجيال القادمة .

والتفت إلى منكر قائلا للمرة الثالثة : اضرب وافهمه بأنه لا زال في دون التحقيق ! ..

وانهال منكر على الأديب بالمراوة ، وهذا ينقلب على نفسه ، ويعول مستنجداً ولكن دون جدوى .

وهنا تدخل نكير وأشار على منكر بإيقاف الضرب منبهاً إياه إلى أن الساعة بلغت الثانية بعد منتصف الليل ، ثم التفت إلى المرحوم الأديب وقال له : نكتفي بهذا القدر هذه الليلة ، وانتظر قدومنا غداً عند منتصف الليل أيضاً فلنا معك حساب بصدد مجموعة قصصك المسماة (المدينة الشقية — وقصص أخرى) ثم إننا سنوالي زياراتنا إليك في ثلاث عشرة ليلة على التوالي لنبحث معك في كل ليلة آثام كل كتاب على حدة .. فإلى الغد أيها المتهم .

وعاد الملكان الكريمان في منتصف الليلة الثانية إلى قبر الأديب ولكن لشد ما أدهشهما أنهما وجدا القبر خاوياً ! . .

نجاتي صدقي

(بقية المنشور على صفحة ٥٩٩)

كما نقول : صبوت إليه وصبوت له .

هذا ما عن لي كتابته جواباً على استفهام الناقد الفاضل ، وعسى أن يتصدى عالم جليل من علماء اللغة ، فيشرح لنا ذلك . وللرسالة وصاحبها الجليل ، فائق تحياتنا . وشكرنا على فضله وأدبه

بغداد **عبد القادر رشيد الناصري**

رد . . . وعجب

كنت نشرت في العدد (٧٧١) من الرسالة الزاهرة « قصة تضحية أم » واشد ما تملكني العجب حين طالعت في العدد (٧٧٢) الذي تأخر وصوله عشرة أيام بسبب أزمة النقل البريدي المستحكمة في هذه الأيام ؛ كلمة للأستاذ الفاضل حسين مهدي الغنام تحت عنوان « حول قصة تضحية أم » نفى فيها سياقتي للقصة ، ورواية الأستاذ الجليل جمال الدين الجيلاني في أصلها وأسماء شخصياتها ، وادعى أنه نشرها في جريدة « الجلاء » بمدينة الإسكندرية عام ١٩٣٨ . وهو العام الذي كنت فيه ، في الرابعة عشرة من عمري ؛ وأنا لم أسمع باسم هذه الجريدة من قبل ، وأظن أنها لم ترد للشام بعد ؛ وأن الأستاذ الراوي كان مقرباً في بلاط حيدر آباد الهندي آنئذ ؛ ثم ما ذا يمنع رواية قصة أو حادثة قد مضى على حدوثها خمسمئة سنة مثلا . ! وبعد فهذا عجب . ولعله يزيد عجبي لو أطلع على صورة هذه القصة التي صنعها قلم الأستاذ حسين مهدي الغنام لأعرف مقدار التحوير والتصوير واجتماع الخواطر !

عبد القادر صارو

تصويب :

قال الأستاذ العماري في العدد الأخير من الرسالة « والذي ساق بعض شباب الجيل إلى هذه التعبيرات السمجة هو ما قاله شوقي في رثاء اسماعيل صبري .

أو كان للذكر الحكيم بقية   لم تأت بعد رثيت في الأعراف »

والحقيقة أن الكاتب قد أدخل بيتين خالدين لشوقي في بيت واحد ، فقد قال شوقي أولا في رثاء مصطفى كامل .

أو كان للذكر الحكيم بقية   لم تأت بعد رثيت في القرآن

ثم قال ثانياً بعد خمسة عشر عاماً في رثاء اسماعيل صبري .

لو أن عمراناً نجارك لم تسد   حتى يشار إليك في الأعراف

(سرس الليان) **محمد محمد القاضي**